قضايا إسلامية معاصرة



أهداف التغريب في العالم الإسلامي

للأستاذ
أنور الجندي

تصدرها
الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية
بالأزهر الشريف

قضايا إسلامية معاصرة

أهداف التغريب
في العالم الإسلامي

للأستاذ

أنور الجندي

تصدرها

الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية

بالأزهر الشريف

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

مدخـــل إلى البحث

(التغريب) مصطلحاستعمله الاستشراق الغربى للتعبير عن الخطة التى تقوم بها القوى ذات النفوذ السياسى الخارجى فى حمل العالم الإسلامى على الانصهار فى مفاهيم الغرب وحضارته ، والعمل على إخراج المسلمين من هويتهم الإسلامية التى أقامها الإسلام من خلال مجتمعهم وكيانهم ووجودهم السياسى والاقتصادى والاجتماعى ، وصهرهم فى بوتقة الغرب .

والهدف هو : القضاء على الوجهة الإسلامية الأصيلة بإدخال عناصر غريبة عليها ، لتحويلها عن طبيعتها ووجهتها ، على نحو يقضى على تميزها الخاص ، ويجعلها قريبة من المفهوم المسيحى الغربى .

وقد جاءت التجربة التركية دليلاً وهاديا لحركة التغريب بهدف تطبيقها فى البلاد العربية والإسلامية من حيث الانفصال عن التاريخ واللغة والثقافة ، وقد جرى بذل الجهود المكثفة فى عملية التغريب عن طريق التعليم والصحافة أساسا .

وبالحيلولة دون قيام الوحدة الإسلامية التى تمثل الخطر الأكبر ، والتى جرى العمل لمقاومته منذ وقت بعيد بتثبيت قوائم الإقليميات والقوميات ، على أمل أن تتمزق وحدة العالم الإسلامى السياسية والفكرية ، وبذلك تعكس كل وحدة منها التأثيرات الأوربية على طريقتها الخاصة ، أى بالخضوع إلى الثقافات الفرنسية والانجليزية والأمريكية ، وكل لها ولاؤها المنفصل . ويطمع دعاة التغريب إلى تغيير الموازين الدينية والتعاليم الأخلاقية على نحو يقربها من الموازين الغربية التى هى فى الوقت نفسه متمثلة فى التعاليم الأخلاقية للكنيسة المسيحية وذلك على حد تعبير (هاملتون جب) فى كتابه (وجهة الإسلام) : أول كتاب وضع عن مخطط التغريب وكشف عن أن المقصود بالتغريب هو بذل الجهود المكثفة لحمل العالم الإسلامى على الانصهار فى الحضارة الغربية ، وهدم الحضارة الإسلامية التى تقوم عليها وحدة المسلمين ، بهدف أن يتجه كل قطر إلى اقتباس مايلائم ظروفه من هذه الحضارة ، وعندئذ يتعدد أسلوب الاقتباس بتعدد البيئات الإسلامية المختلفة ، فتفقد الحضارة الإسلامية طابعها الموحد ، ولا يعود هناك شىء اسمه حضارة إسلامية .

وقد ركز هذا البحث على أهمية التعليم والصحافة فى هذا الصدد . أما بالنسبة للتعليم فقال : إن السبيل الوحيد

ولا سبيل غيره هو طبع التعليم فى البلاد الإسلامية بالطابع الغربى؛ وان يجرى على الأسلوب الغربى والمبادىء الغربية والتقدير الغربى . وقال إن ذلك من شأنه أن يؤدى إلى احتواء الزعماء المدنيين وقليل من الزعماء الدينيين ؛ أما الصحافة فقال :

إن تغريبها من شأنه أن يخلق رأيا عاما مغربا ، وأن الصحافة هى أقوى الأدوات الأوربية وأعظمها نفوذاً فى العالم الإسلامى ، كما يقرر هاملتون جب فى كتابه (وجهة الإسلام) أن مديرى الصحف اليومية ينتمون فى معظمهم إلى التقدميين ، ولذلك كان معظم هذه الصحف واقعاً تحت تأثير الآراء والأساليب الغربية ، وأنهم لا يلعبون دوراً مهما فى تشكيل الرأى العام بالقياس إلى الأحداث المحلية فحسب ، ولكن صحفهم تحتوى على مقالات تشرح الحركات السياسية والاقتصادية فى أوروبا ، ومقالات مترجمة من الصحف الأوروبية ، وهم يقفون الرأى العام على مايجرى فى الغرب من أحداث وما يستحدث من آراء ، فيبين صدى ذلك فى بلاد الشرق والصحافة فى تركيا وطنية لا دينية ، وهى لا تجرؤ على أن تكون دينية ، أما الصحافة المصرية فهى تتطور فى بطء ، وهى لا دينية فى اتجاهها .

وقال : إن النشاط التعليمى والثقافى (عن طريق المدارس

العصرية والصحافة) قد ترك فى المسلمين على غير وعى منهم أثراً جعلهم يبدون فى مظهرهم لا دينيين إلى حد بعيد ، وذلك خاصة هو اللب المثمر فى كل ماتركت فى محاولات الغرب لحمل العالم الإسلامى على حضارته من آثار .

ولأول مرة فى تاريخ الدراسات الخاصة بالمؤامرات التى رسمها النفوذ الأجنبى للسيطرة على العالم الإسلامى ، تظهر هذه الدراسة الصريحة لما رسم من مخطط للتغريب ، والذى كان قد بدأ من وقت طويل ، بعد انتهاء الحروب الصليبية ، وتيقن الغرب أنه لن يستطيع السيطرة على العالم الإسلامى عن طريق الحرب ، نظراً لما يحتويه الإسلام من منهج حاسم لمقاومة الاحتواء والانصهار ، والمحافظة على التميز وعلى استقلالية الذات الإسلامية والتضحية بكل شىء فى سبيل حمايتها ، ولما كان منهج الإسلام فى مقاومة الغاصب وحماية الثغور والمرابطة بها والتضحية بالأنفس والأموال . كل هذا من شأنه أن يقضى على كل محاولة خارجية للسيطرة ، ومن هنا قد اتجهت خطة المؤامرة إلى ما أطلقوا عليه (حرب الكلمة) بدلا من حرب السيف ؛ وترمى حرب الكلمة إلى تزييف مفاهيم الإسلام فيما يتعلق بالجهاد والمقاومة ومحاولة إدخال تفسيرات وتأويلات من شأنها أن تقضى على القوة الإسلامية ، ومن هنا نشأ مفهوم الحرب على الإسلام عن

طريق منظمتى الاستشراق والتبشير الغربى ، الذى هو فى حقيقته (التنصير) ، وجاء المخطط حاوياً لتذويب الفوارق الأساسية بين الإسلام والفكر الغربى ، وعلى رأسها تحطيم الوحدة الإسلامية وإعلاء القوميات والإقليميات ، وإحياء الفرق القديمة ، وخلق فرق جديدة (كالبهائية والقاديانية) ، والحد من نفوذ اللغة العربية التى يجب أن تنتشر مع الإسلام ومغالبتها بالعاميات من ناحية وباللغات الأجنبية من ناحية أخرى ، وإفساد المراجع وتغيير المفاهيم ، وهدم المجتمع بإدخال وسائل الإباحية والكشف ، والقصص الماجن ، والهجوم على القرآن والسنة والتاريخ والتراث ، وإحياء مفاهيم التصوف الفلسفى ووحدة الوجود ، وفلسفات الغنوص وعلمُ الأصنام عند اليونان .

وقد عملت منظمات التبشير والاستشراق منذ وقت بعيد فى هذا الصدد ، واستطاعت أن تجد لها مكاناً بواسطة النفوذ الأجنبى ، حتى إذا سقطت الخلافة الإسلامية وانتثر عقد الوحدة الإسلامية ، اتسع هذا النفوذ كثيراً فيما بين الحربين العالميتين (١٩١٨ ـ ١٩٣٩) وهى الفترة إلتى اطمأن النفوذ الأجنبى إلى أنه أصبح قادراً على السيطرة عن طريق مدارس الإرساليات ، وعن طريق نقل مناهج مدارس الإرساليات إلى وزارات التعليم والمعارف فى البلاد الإسلامية ، هنالك كان على

الاستشراق أن يرسل خمسة من رجاله الأقرام لدراسة هذا المخطط الذى كشفوا عنه وأسموه (الاستغراب) أو التغريب أو الفرنجة فقام هاملتون جب (جامعة لندن) وماسنيون (جامعة باريس) وكامبفماير (جامعة برلين) وبرج (جامعة لندن) ولفتنانت كولونل فرار بالجيش الهندى سابقاً ، بإعداد هذه الدراسة التى ظهرت تحت اسم وجهة الإسلام : inhiter) (islam للتعرف على المدى الذى وصلت إليه خطة التغريب وإلى أى حد أصبح العالم الإسلامى مغرّباً وما هى العوامل التى تحقق إتمام تغريبه .

وقد توقع (جب) أن تمضى حركة التغريب فى طريقها (بعد حركة الانقلاب التركى والإيرانى ١٩٢٦ تقريباً) ويرى أنه حسب سير الأحداث أن العالم الإسلامى سيصبح خلال فترة قصيرة (لا دينيا) فى كل مظاهر حياته ، مالم تطرأ على الأمور عوامل ليست فى الحسبان فتغير اتجاه التيار .

ويدعو إلى ضرورة التقليل من المعاهد الدينية والقضاء على حفظ القرآن ودراسته ويقول : (ولا يزال حفاظ القرآن ودارسوه كما كانوا لم ينقص عددهم ، ولم يضعف سحر آيات القرآن وتأثيرها على تفكير المسلمين ، وربما كان تقديس شخصية محمد ومايثير ذكره من حماسة فى سائر المسلمين على اختلاف طبقاتهم من أهم ملامح النهضة الإسلامية

الحديثة) ، ويشير هاملتون جب إلى النهضة الإسلامية الحديثة ويحاول العمل على احتوائها أو تغريبها . ويشير ماسنيون إلى أن اليقظة الإسلامية تتطور بسرعة مذهلة ، ولا ينقصها إلا وجود الزعامة ، ولا ينقصها إلا ظهور صلاح الدين جديد .

ويستبعد (جب) أن يحدث فى البلاد العربية مثل ما حدث فى تركيا من قطع كل صلة بالماضى الإسلامى ، واستبدال الحروف اللاتينية بحروف غربية ، ويحذر من خطر الكتلة الإسلامية والحركات الإصلاحية والمعاهد الدينية وحفاظ القرآن الكريم .

ويعلق (جب) أمله فى إتمام حركة التغريب إلى القادة والزعماء الذين تعلموا فى مدارس الإرساليات وفى الغرب .

وجملة القول أن هاجس العوامل الصحيحة لليقظة التى لم تلبث أن ظهرت واتسعت قد غير اتجاه التيار ، وصنع طبقة كثيفة من الحصانة دون السقوط فى مستنقع الإحواء والسيطرة الغربية على النحو الذى سنبينه من بعد .



البـــاب الأول

مؤامرة التغريب وأبعادها

الفصل الأول :

أهداف التغريب .

الفصل الثانى :

الغزو الثقاف : سلاح التغريب وأداته .

الفصل الثالث :

الاستشراق والتبشير .



الفصـــــل الأول

أهـــداف التغـــريب

التغريب فى أبسط مفهومهو :حمل المسلمين والعرب على قبول ذهنية الغرب وغرس مبادىء التربية الغربية فى نفوس المسلمين ، حتى يشبوا مستغربين فى حياتهم وتفكيرهم ، وحتى تجف فى نفوسهم موازين القيم الإسلامية ، ويتطلب تحقيق ذلك إيجاد شعور بالنقص فى نفوس المسلمين والشرقيين عامة ، وذلك بإثارة الشبهات وتحريف التاريخ الإسلامى ومبادىء الإسلام وثقافته ، وإعطاء المعلومات الخاطئة عن أهله ، وانتقاص الدور الذى قام به فى تاريخ الثقافة الإنسانية ، ومحاولة إنكار المقومات التاريخية والثقافية والروحية التى تتمثل فى ماضى هذه الأمة ، أو محاولة انتقاض القيم الإسلامية ، والغض عن مقدرة اللغة العربية وتقطيع أوصال الروابط بين الشعوب العربية والإسلامية .

« وحركة التغريب » : هى دعوة كاملة لها نظمها وأهدافها ودعاتها ، وتخدمها مؤسسات مختلفة أهمها [مؤسستى الاستشراق والتبشير] ويقوم عملها على الغزو الفكرى عن طريقين : التعليم والصحافة ، ويقول أصحاب هذه الدعوة إن للمسلمين والعرب قيما ومثلاً ذاتية خاصة تحول بينهم وبين

الاندماج فى الأمم الأخرى ، وتخلق منهم قدرة قوية على مقاومة النفوذ الأجنبى وتسلط الغاصب ، ولا سبيل للقضاء على هذه المقاومة إلا بصهر هؤلاء المسلمين فى بوتقة الفكر الغربى وإخراجهم من قيمهم .

وأبرز أهداف التغريب : الحيلولة دون قيام (وحدة الفكر الإسلامى) التى هى مصدر وحدة الأمة ، والعمل على بلبلة العقول والنفوس بعشرات من المذاهب والدعوات ، وتعميق الفوارق الثقافية والاقتصادية فى الأمة « الواحدة » بما يحول دون قيام الوحدة .

ويمكن حصر أهداف التغريب فى النقاط التالية :

أولاً : القضاء على وحدة الأمة الإسلامية بما يحول دون عودة الخلافة الإسلامية ، وتعميق مفهوم الاقليميات والقوميات .

ثانياً : التعليم الوافد هو الخنجر المسموم ال[illegible] طعنت به الأمة الإسلامية .

ثالثاً : فرض نظام الربا على الاقتصاد ، وتمزيق ثروات الأمة الإسلامية .

رابعاً : حجب القانون الربانى المتمثل فى الشريعة الإسلامية ، وفرض القانون الوضعى الذى يهدم الخلق والأسرة .

خامساً : القضاء على مقومات الأسرة وهدم قيم المجتمع وإدخاله إلى مرحلة التحلل والتمزق ، وتدمير الشخصية الإنسانية .

سادساً : تمزيق القارة الإسلامية ، وغرس عنصر غريب عنها فى قلبها .

سابعاً : كتابة التاريخ الإسلامى من وجهة نظر غربية مادية .

ثامناً : إثارة النعرات الإقليمية والقومية والعصبية ، وإحياء التاريخ القديم السابق للإسلام .

تاسعاً : إشاعة روح المفاهيم المادية ، وفى مقدمتها نظرية داروِن كمدخل إلى الالحاد ، والتشكيك فى مفاهيم الإسلام وفى قضية الخلق القرآنية

عاشراً : إشاعة مفهوم المادية فى العلاقات الإنسانية والحياة الاجتماعية عن طريق نظرية فرويد (الدوافع الجنسية) والماركسية (دوافع المعدة) وتصور الإنسان حيوانا تحكمه غريزته .

حادى عشر : القضاء على اللغة العربية لأنها لغة القرآن .

ثانى عشر : إنكار فضل المسلمين على الحضارة الإنسانية وإنشاء منهج التجريب .

ثالث عشر : فرض الفلسفات المادية (جدلية ومادية

وبرجماتية ووضعية ووجودية) بما تحتوى من أحقاد وأهواء وأوهام الإلحاد وإنكار مالايخضع للتجربة وادعاء المنهجية فى البحث .

رابع عشر : إنكار الدين واعتباره طوراً متخلفاً من أطوار التقدم الاجتماعى وفصل الإسلام عن السياسة وعن الأخلاق والحملة على العقائد والقيم .

خامس عشر : إذاعة الفرقة والخصومة بين الأديان والأجناس .

● ● ●

إن المحاولة تهدف إلى فرض وصاية على الأمة الإسلامية وهى من شطرين :

الأول : أن يقبل المسلمون أسلوب الغرب كاملاً كما هو ، وأن يتجاهلوا منهجهم الربانى الأصل .

الثانى : أن يظلوا تابعين للغرب تبعية كاملة فلا يتمكنوا من إقامة حضارتهم الإسلامية بمفاهيمها الصحيحة .

وقد قدم الغرب للمسلمين حلولا لمشاكلهم ثبت فشلها واحدة بعد واحدة لعدة أسباب :

١ - لأن الغرب لم يكن مخلصا فى وجهته ، فهو على الأقل لا يرغب فى أن تصبح البلاد الإسلامية قادرة على امتلاك إرادتها .

٢ ـ لاختلاف الوسائل والغايات .

٣ ـ لاختلاف الوجهة الثقافية .

وبعد الفشل المتكرر من خلال المناهج المختلفة تبين للمسلمين أنه لا سبيل لهم إلا بالتماس مفاتيح ثقافتهم الربانية المصدر ، الإنسانية الهدف ، فهى وحدها القادرة على العطاء .

ذلك لأن الغرب نفسه الذى يفرض مناهجه على المسلمين لم يستطع من خلال تطبيقها فى بيئته ـ لأنها فكر بشرى ـ أن يحقق الأمن النفسى أو الاستقرار الاجتماعى ، وذلك لأن تجربته جاءت ناقصة ومضطربة ، واحتاجت إلى الإضافة والحذف لأنها تجاهلت طبيعة الإنسان الجامعة بين الروح والمادة ، وقامت على أساس النظرة المادية البحتة ، وقد تبين أن عجزها ناتج عن أمرين : لعدم وجود البعد الربانى والبعد الاجتماعى ، بينما يقدم الإسلام منهجا متكاملاً جامعاً بين الماديات والمعنويات يتكافأ مع تكوين الإنسان الجامع بين الروح والجسد .

وهدف **التغريب** : هو تأخير يقظة المسلمين وإجهاضها أو تذويبها أو تحويلها عن وجهتها بهذه المحاولات الماكرة التى تتوالى بعقد المؤتمرات وجمع الأسماء المغربة من أجل الوقوف

فى وجه التيار الأصيل ، ودفع المسلمين عن طريق الله إلى السبل التى أوصاهم القرآن الكريم أن يتحاموها ﴿ **وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله** ﴾ .

ويتحدث الباحثون عن أن كفاح الفكر الإسلامى استمر أكثر من ثلاثة قرون فى سبيل التحرر من هيمنة الفلسفة الهلينية والهندوسية والفارسية القديمة ، وأنه لم يستسلم خلال ذلك الوقت للنظرية الوافدة مطلقاً ، وقاومها طويلا وأعلن وجهة نظره واضحة فى مختلف القضايا .

وقد ظل الفكر الإسلامى دوماً وجيلاً بعد جيل يواجه هذه النظريات ويدلى برأيه فيها ، ولا يتوقف عن المعارضة ، معارضة قبول قيم ليست من أسسه مع سماحته المعهودة فى تقبل مايجده دون أن يخرج عن مقوماته . ولقد كان شغل المسلمين الشاغل على مدى تاريخهم ، ليس فى سبيل شخصية حضارية بل الرفض بالسماح لشخصية الإسلام الحضارية أن تذوب أو تتلاشى فى أى شخصية حضارية أخرى . هذا الرفض بالذات هو الذى مكن الجزائريين من الصمود فى وجه الاستعمار الفرنسى مائة وأربعة وثلاثين عاماً كما مكنهم أن يخرجوا من المعركة بفخر وإباء .

وهذا الرفض نفسه هو الذى مكن للمسلمين فى شبه القارة

الهندية أن يصمدوا فى وجه أكثرية تبلغ أربعة أضعاف عددهم ، وأعطاهم بأن يقيموا دولة جديدة منبثقة من وحى الإسلام وروحه ، إن الجزائريين أصروا طوال مائة وأربعة وثلاثين عاماً إصراراً عنيداً على أنهم ليسوا فرنسيين بل جزائريين مسلمين ، ولم يخامرهم طوال صراعهم الدموى ضد الحكم الفرنسى والاستعمارى أى شك فى شخصيتهم الحضارية ، وفى مراكش وتونس وليبيا ومصر والعراق وسوريا ولبنان حيث تزدهر عناصر عربية وغير إسلامية ، فقد أصبح الإسلام فى جميع هذه الأقطار الوسيلة المثلى للاحتجاج والمقاومة ، والأداة الوحيدة الفعالة فى أيدى أبنائها لمحاربة الأخطار التى تهدد مجتمعهم ودينهم وحضارتهم .

وقد كان لابد لخطة التغريب من هدف أساسى رئيسى ، هو (الغزو الثقافى) والغزو حرب وهى هنا كما عبروا عنها هى (حرب الكلمة) فماذا عن الغزو الثقافى .

الفصـــل الثانى

الغــزو الثقــافى
هــو ســلاح التغريب وأداته

مصطلح الغزو الفكرى (أو الغزو الثقافى) مصطلح حديث الاستعمال لمفهوم واضح الدلالة عند المفكرين المسلمين منذ وقت بعيد ، وهو محاولة إدخال تفسيرات مضللة لمفاهيم الإسلام عن طريق النحل الجديدة كالقاديانية والبهائية ، أو محاولة تزييف مفهوم الإسلام على النحو الذى جرى عليه كتَّاب الغرب ، وواجهه جمال الدين ومحمد عبده ورشيد رضا ، وفى مقدمة ذلك ماكتبه الأفغانى فى مواجهة نظرية ـ التطور تحت اسم (الرد على الدهريين) ثم جاءت كتابات محمد عبده فى الرد على هانوتو الفرنسى وفرح أنطون ، ثم جاءت كتابات فريد وجدى والغلايينى فى الرد على اتهامات كرومر للإسلام ، ومعنى هذا أن هذه المواجهة للاتهامات وتزييف مفاهيم الإسلام مسألة قديمة منذ أوائل عصر اليقظة الإسلامية التى كان يطلق عليها حركة الإصلاح ، أما هذه التسمية بالذات فقد جاءت متأخرة وأحسبها ظهرت فى منتصف الستينيات من القرن الميلادى (١٩٦٥) ولكنها كانت حلقة من الخطة الكبرى : خطة التغريب . ومن هنا

فالغزو الثقافى وجه من وجوه تلك الحملة الضخمة المثارة على الفكر الإسلامى فى العصر الحديث من دوائر التبشير والاستشراق .

ومن هنا نستطيع أن نقول إن الغزو الفكرى هو السلاح الذى يقوم على سموم الاستشراق والتبشير فى محاولة تغريب الإسلام (أى إخراجه من ذاتيته الخاصة) ، وهو الهدف الحقيقى لهذه الحملة . ولا ريب فقد مضى الغزو الثقافى واتسع نطاقه فى ميادين ثلاثة : التعليم ، والثقافة ، والصحافة ، من أجل هدم الحصون الفكرية والقيم الأساسية وزلزلة العقائد لتمكين خصوم الإسلام من السيطرة على أرضه ومقدراته ومقوماته جميعا ، ولما كانت هذه المحاولة المعاصرة شبيهة بالمحاولة التى سبقتها والتى قامت بها قوى الباطنية والشعوبية بعد حركة الترجمة فى القرن الثالث الهجرى ، فقد استغل المستشرقون دعاة الغزو الثقافى وعملاء التغريب هذه الشبهات القديمة ، وجددوها ، كما جددوا سموم الفكر الفلسفى والباطنى والوثنيات والأساطير ، وأعادوا صياغتها من جديد فى معركة الغزو الثقافى الجديدة .

وكان بعض الباحثين قد رد حركة الغزو الثقافى الأولى إلى (عبد الله بن سبأ) ثم عبد الله بن المقفع ، وإلى مدرسة « الزنادقة » المشهورة التى برز فيها

أبو نواس وبشار بن برد .

ثم تشكلت هذه الدعوة المسمومة فى حركات ضخمة « كالراوندية » والباطنية والقرامطة ، وهى قوى فكرية ساندتها قوى سياسية ، وقامت مناهج هذه الحركات على المخططات التى وضعها زعماء الحركة الوطنية فى رسائل (إخوان الصفا) ، وقد جمعت هذه الحركة دعاة الوثنية من اليهود والنصارى فى إطار المجوسية القديمة ، والفلسفة الإغريقية ، وفلسفات الفرس والهنود القديمة ، والمستمدة أساساً من علم الأصنام اليونانى ، وقد شمل هذا المخطط كله دعوة حارة إلى الشعوبية وخصومة شديدة للإسلام والفكر الإسلامى والعرب ، جعلت من أهم أهدافها السرية الخفية إضافة الإسرائيليات إلى الأصول الإسلامية لإفسادها وتدميرها . وقد برزت قوى الزنادقة والملاحدة والشعوبية فى مجال الأدب العربى خاصة والفكر الإسلامى عامة ، وكان مجال التأليف أبرز ما يدين عملهم . فإذا نظرنا اليوم من خلال حركة التغريب والغزو الثقافى المعاصر نجد نفس الاتهامات والإدعاءات تتجدد مع اختلاف فى أساليب الأدب والنشر ، ومن هنا فإننا نعتقد أن حركة التغريب والغزو الثقافى قديمة قدم الإسلام نفسه ، وإن لم يطلق عليها هذا الاسم المستحدث ، وهى تعمل على إخراج الإسلام من قيمه ومقاوماته ، وذلك بإغراقه فى الأممية والشعوبية والعالمية

والعلمانية والفساد ، ومضامينه بإذابتها فى الوثنيات القديمة والفلسفات الباطنية والمجوسية .

هذه الدخائل التى تختلف عن جوهره وأصوله ، والتى تتعارض مع ذاتية الإسلام ومزاج المسلمين النفسى والعقلى ، ومن الحق أن يقال إن هذه الحركة قد فشلت فى القديم وانهارت انهياراً تاماً ، واستطاع الإسلام بمقوماته الأصيلة أن يزيحها عن طريقه ، وأن يقيم منهجه الأصيل مستمداً من القرآن والسنة الصحيحة .

ويمكن أن توصف حركة التغريب والغزو الثقافى الحديثة التى بدأت تعمل فى العالم الإسلامى منذ الاستعمار الغربى بأنها امتداد متطور لهذه الحركة القديمة التى حمل لواءها خصوم الإسلام وأعداؤه فى كل عصر وجيل لإخراجه من قيمه ، ولإتاحة الفرصة للغزو الأجنبى فى السيطرة والاستمرار بعد القضاء على معالم شخصية هذه الأمة وتحويلها إلى صورة غربية الملامح ، بعد تصفيتها من القيم والمثل والتراث الذى يتصل بها ، والذى كان عاملاً جذرياً فى تكوينها خلال الأجيال الطويلة ، وذلك من أجل استبقاء نفوذهم وسيطرتهم على عالم الإسلام ، ومن خلال تكوين أجيال حديثة مفرغة من الإسلام مغتربة ، تنشأ على الإيمان بهم وكراهية الإسلام . بحيث لا ترى فى الولاء للغرب أو

الشرق أو الصهيونية أى عداء أو خصومة ، فهى بالغزو الفكرى تتحول من مفاهيمها العربية والإسلامية فى كثير من الأمور وتقبل وجهة النظر الأخرى ، فتدين مثلا بأن النموذج الغربى فى الحكم هو المثل الأعلى ، أو ترى فى النظم الغربية أو الماركسية نموذجا صالحا للتطبيق ، وترى أن العلاقة بينها وبين الأمم الغربية ليست علاقة سيطرة أو احتواء ، وإنما علاقة صداقة على طريق منهج فكرى ايديولوجى واحد ، ومن ثم تقبل بهذا الولاء باسم الانتماء تحت مظلة مايسمى بالفكر الغربى والفكر الماركسى ، ومن ثم يكون الغزو الفكرى قد عمل عمله البعيد فى حجب المفهوم الإسلامى الأصيل ، الذى عاشت عليه الأمم الإسلامية منذ أربعة عشر قرنا ، وتقبل منهجا آخر وافدا ، سواء فى نظام الاقتصاد أو السياسة أو التربية أو الاجتماع ، وبذلك تضيع هوية الأمة الإسلامية ، وتنهار مقومات شخصيتها الأساسية والخاصة والمتميزة التى كونها الإسلام خلال هذا الزمن الطويل .

ولا ريب أن الدعاة إلى التغريب والغزو الفكرى بهذه الصورة يخفون أغراضهم ، ويظهرون كلمات براقة ، كالتقدم والعصرية والحداثة ، ومسابقة الأمم إلى الحضارة ، ولكن الأغراض الخفية تظل واضحة للقادرين على كشف الأمور ، وهو استبقاء البلاد الإسلامية فى قبضة النفوذ الأجنبى ،

وذلك لتكون الخامات التى تذخر بها بلاد المسلمين ، والأيدى العاملة الرخيصة ، خاضعة للسيطرة عليها تحت اسم التعاون والصداقة والالتقاء على مفاهيم سياسية أو اجتماعية ، أو تحت أسماء وحدة الحضارة أو وحدة الأيديولوچيات وهم يدخلون عن طريق ذى شقين :-

أولاً : الادعاء بأن الأمة الإسلامية إنما يرجع تخلفها وترجع معاناتها التى تعيشها إلى منهجها الإسلامى نفسه ، وأن عليها لكى تصل إلى القوة أن تتحرر منه وأن تعتنق منهج الأقوياء .

ثانياً : الادعاء بأن الأمة الإسلامية حين تأخذ بأسلوب الغرب سواء كان ديمقراطياً أو اشتراكياً إنما تحاول تحقيق النهضة وترى أنه لا شىء فى هذا ، فإن الإسلام ليس فى نظرهم الا (دينا) بمعنى العلاقة بين الله والعباد ، ومن ثم فهم يرون أن من حق الأمم أن تأخذ ماتشاء من المناهج السياسية والاجتماعية ، وهذا المفهوم مفهوم مغلوط ، ذلك أن الإسلام هو منهج اجتماعى كامل سواء فى العلاقة بين الإنسان والخالق تبارك وتعالى ، أو بين الإنسان والمجتمع ، وحتى لا يتأكد هذا المعنى وجدنا الغزو الفكرى يعمل على إثارة الشبهات حول هذه الحقيقة ، وحول الإسلام ونبيه

وتاريخه ولغته ، ومحاولة نسبة التخلف والجمود والضعف إلى الإسلام ، بينما الحقيقة الواضحة أن ضعف المسلمين وتخلفهم إنما يرجع إلى تباعدهم عن منهج الإسلام الحق .

وحول هذا تتحدث الشبهات التى تقول بأن التخلف الذى تعانى منه الأمة الإسلامية يرجع إلى أن الإسلام دين صحراوى أو دين مرحلى جاء فى مرحلة من المراحل وأعطى الأمة العربية القوة ثم انتهى أمره ، كل هذه الشبهات يثيرها الاستشراق ويقدمها (التبشير) لأبنائنا فى المدارس والجامعات والصحف والكتب عن طريق التعليم والثقافة وذلك لتوهين الإيمان بالمنهج الإسلامى لهذه الأمة ورفضه ثم إزالته وتقبل المنهج الغربى بديلا عنه ، وبذلك تتم عملية الغزو الفكرى بسهولة ويحقق التغريب غايته ويجرى هذا مع شباب ليست له خلفية إسلامية حقيقية ، ولم يتشكل فى بيئة إسلامية . ومن ثم فهو يعتنق أى فكر زائف يقدم إليه ، وهذا هو مصدر الخطر ومسئولية الأسرة والبيت .

ومن هنا نعرف أن الغزو الثقافى هو قذيفة مسمومة مسددة إلى قلب الفكر الإسلامى لتحقيق هدف واضح هو

(التغريب) : تغريب المجتمع ، الأسرة ، المرأة ، الاقتصاد ، التربية ، المناهج ... وصهرها جميعا فى بوتقة الحضارة العالمية المنهارة ، التى تمر بمرحلة الأزمة والتمزق ، والتى تركت للإنسان الغربى أقسى حالات الانهيار والاغتراب .

وهكذا نرى أن الغزو الفكرى هو غزوٌ عقائدى وغزو اجتماعى ، ولايقف الأمر عند (تغريب المسلمين): فقد خطت القوى الاستعمارية إلى مرحلة جديدة وهى تغريب الإسلام نفسه ، وإخراجه عن تميزه الخاص ، وذلك بالدعوة إلى (تطوير الإسلام) ظنا أن الإسلام دين وضعى يتطور حين تفقد هذه الأديان والأيديولوچيات قدرتها على مواجهة متغيرات البيئات والعصور ، وهم لا يعلمون أن الإسلام دين ربانى إنسانى الوجهة ، عالمى الغاية ، له أُطُره الواسعة المرنة ، القادرة على مقابلة متغيرات العصور والبيئات ، ولذلك فإن فكرة تطويره فكرة باطلة مضللة ، وإنما يبحث أهله والمصلحون عن تطوير الوسائل والأدوات التى تقدمه للعصر .

وتغريب الإسلام يرمى إلى فرض مفهوم الأديان الغربية عليه ، وإخفاء تميزه بالتوحيد الخالص بحيث يصبح دينا

مغربا تفرض عليه التفسيرات الغربية والماركسية ، وبحيث يبدو فى نظر دعاة الحوار أنه لا يوجد بينه وبين الأديان الأخرى إلا خلافات يسيرة ، بينما يوجد فى الحقيقة خلاف جذرى بين التوحيد والتعدد ، وبين الألوهية والنبوة ، وبين الخطيئة والتوبة .

وهناك تميز الإسلام بفريضتى الجهاد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وإعلاء شأن المرابطة فى الثغور ، واليقظة فى مواجهة العدو ، وحول هذه المعانى تجرى إثارة الشبهات بقصد احتواء « التميز الإسلامى الخاص » .

ولقد أشار بعض الباحثين إلى المحاذير التى نتج عنها تمكن الغزو الثقافى من كيان الأمة الإسلامية :
ومنها:

١ ـ الفجوة الخطيرة التى وقعت بين علماء المسلمين ودعاة الإسلام من جانب ، وبين حكام المسلمين من جانب آخر ، حيث اعتمد الحكام فى حكمهم على قيادات غير ملتزمة بالإسلام ، وهى التى لا ترى فى الغزو الثقافى إلا الغذاء الفكرى والسلوكى للمجتمع الإسلامى ، وقد ترتب على ذلك

نجاح أعداء الإسلام فى إحكام سيطرتهم على مرافق حياتنا ، وتقديم الأغذية الفاسدة لعقولنا .

٢ ـ إهمال المسلمين للطفولة المسلمة (بنين وبنات) وتركها للغزو الثقافى الذى قدم لها القصص الجذابة المصورة ، ووسائل الترفيه المنوعة ، والتمثيليات وأفلام الأبطال ، واكتسح الغزو بهذه الوسائل العقول الغضة ، كما فقد التعليم القرآنى دوره ، كما فقدت التربية الإسلامية مكانتها فى هذه المرحلة الخطيرة .

٣ ـ البعثات العلمية من الشباب المسلم التى ذهبت إلى بلاد الكتلة الغربية والشرقية ، دون حصانة أو تربية إسلامية ، كانت من العوامل التى ساعدت على استشراء الغزو الثقافى ، كما أهمل المسلمون توجيه حركة الترجمة من اللغات الأوربية الوجهة المفيدة .

الفصـــل الثالث

الاستشراق والتبشير
أداة التغريب والغزو الثقافى

كان الاستشراق والتبشير من أبرز أدوات التغريب والغزو الثقافى ولاريب أن بين الاستشراق والتبشير فوارق واضحة ، فلكل منهما ميدانه ، ولكنهما متكاملان من حيث أن الاستشراق يقوم بإعداد السموم التى يقوم التبشير ببثها فى المعاهد والجامعات .

فالاستشراق يرمى إلى استكشاف قوى المسلمين للعمل على ضربها وإثارة الشبهات حول القيم الأساسية التى يقوم عليها وجودهم .

أما التبشير فهو تنظيم تربوى وتعليمى يجرى به إخراج المسلمين من عقيدتهم ومفاهيمهم عن طريق استغلال الطلاب والمرضى وتحويل عقائدهم والتأثير على مفاهيمهم وتحطيم معنوياتهم ، وتنشئة أجيال ممسوخة مبلبلة العقائد ، مضطربة الثقافة ، منكرة لقيمها وتراثها ولغتها وتاريخها .

وبذلك يمكن القول بأن المستشرقين هم طلائع المبشرين .

لقد نشأ الاستشراق لمقاومة الامتداد والتوسع الإسلامى ،

وكان جلة المستشرقين على اتصال دائم بوزارات المستعمرات فى بلادهم وبالكنيسة الأم ، ولم تكن أعمالهم التى حملت أسماء الجامعات والمعاهد العلمية إلا بعثات سياسية تختفى تحت هذا الستار .

وقد استهدف الاستشراق خدمة الاستعمار عن طريق العلم ، وأعد جميع النظريات التى طرحت فى أفق العالم الإسلامى للتهوين من شأن الإسلام ورسوله وتاريخه وكتابه ، وكلها نظريات خدع بها بعض أولياء الاستشراق ، وقد قامت على الهوى والغرض ، ولم تقم على المنهج العلمى كما يدّعون ، وقد عرف عنهم أنهم يفرضون فرضاً يتفق مع أهوائهم ، ثم يبحثون فى القرآن والحديث والآثار المختلفة عن أدلة تؤيد وجهة نظرهم ، ولا بأس من اقتطاع نص عن سياقه أو تزييفه .

كذلك فإن مخطط التبشير يهدف إلى إفساد الخصائص الإسلامية وتشويه الثقافة الإسلامية والتراث الإسلامى ، وخلق تخاذل روحى وشعور بالنقص مما يؤدى إلى الخضوع للمدنية الغربية ، وتوسيع شقة الخلاف بين الطوائف والمذاهب ، وإثارة النزاع بين الأديان ، وإخضاع الأمة الإسلامية للاستعمار الغربى وإعداد شخصيات لا تقاوم النفوذ الأجنبى .

وقد أكد هذا المعنى أحد رؤساء الجامعة الأمريكية (١٩٤٨) حين قال : لقد برهن التعليم على أنه أثمن وسائل التنصير عن طريق تنشئة جيل يدين بالولاء للغرب أو الشرق ، ويحتقر أمته ودينه ولغته » ولقد كانت مدارس الإرساليات مراكز للغزو الثقافى والتغريب فى الأغلب ، وعن طريق هذه المعاهد تمزقت تيارات التعليم فى التبعية لفرنسا أو لبريطانيا أو لأمريكا ، مما أدى إلى القضاء على الوحدة الفكرية الإسلامية .

ولقد كان الاستشراق والتبشير أداتين هامتين فى تثبيت قوائم التغريب والغزو الثقافى فالاستشراق فى أبسط تصوير وأعمقه « استخدام العلم فى خدمة السياسة » ومن ثم كانت مادته نافعة لتغذية حركة التبشير فى دعم خططه وفى إثارة عوامل الخلاف وطرح الشبهات بما يحقق مخططه . وأخطر ماطرأ على حركة الاستشراق أن رجال الإرساليات التبشيرية قد خلعوا أثوابهم فى السنوات الأخيرة ، بعد أن انكشف أمرهم ، وتخفوا وراء أستاره ، كما أن هناك كثيرين تحولوا من الاستشراق إلى التبشير،وقد يتحدث البعض بحسن نية عن الدور الذى حققه الاستشراق فى بعث التراث الإسلامى ، ونحن نعرف أن مصدر اهتمام المستشرقين بالشرق والإسلام ليس مجرداً ولا خالصاً لوجه العلم والحق ، وإنما يرجع إلى

هدف حقيقى هو التعرف على مقدرات العالم الإسلامى من قوى نفسية واجتماعية للعمل على هدمها وتدميرها لأنها تحول دون تمكين النفوذ الأجنبى ، فهم يدرسون نفسية الأمة الإسلامية ليكيفوا مواقفهم ومعاملاتهم ، وليعرفوا من أية جهة يستطيعون إخضاعه واحتواءه ، وما فيه من جوانب الضعف للتركيز عليها ، وذلك بهدف أن يبقى نفوذهم ويستمر .

وإذا كان الاستشراق خالصاً لوجه العلم فلماذا يركز على الجوانب الضعيفة والروايات المدخولة والشبهات ، لماذا يركز على التصوف الفلسفى حين يدرس العقيدة ، وعلى الباطنية حين يدرس التاريخ ، ولماذا يولى اهتمامه للحلول والاتحاد فى الدراسات الصوفية ، وأبو نواس وبشار فى الدراسات الأدبية ، وأبو بكر الرازى وابن الراوندى فى الدراسات الفلسفية ، ولماذا يهاجم المتنبى بعنف ، ويهاجم الغزالى وابن خلدون ، ولماذا ابتعث الشبهات التى أثارتها الشعوبية قديما وأعاد النظر فيها ، ولماذا يركز على الخلافات بين السنة والشيعة وبين المسلمين والنصارى ؟

لقد ركز الاستشراق على الأفكار الدخيلة على الإسلام ، والفلسفات الوافدة ، فى محاولة لتصويرها على أنها جوهر الفكر الإسلامى مع الإغضاء المتعمد عن القيم الأساسية ،

والدور الذى قام به المصلحون ومجددو الإسلام الذين أعادوه إلى أصالته ، أمثال ابن حزم والغزالى وابن تيمية والقاضى ابن العربى وابن الجوزى وغيرهم .

ويولى المستشرقون عناية كبرى لفكرتى وحدة الوجود والحلول ، وهناك الاهتمام الدائب بالعاميات والفلكور والأمثال الشعبية والأغانى والمواويل ، وكلها محاولات تخلق تصور وجود لغة عامية قائمة بذاتها .

وقد جابه المفكرون المسلمون هذه الاتجاهات وكشفوا زيفها وحالوا بين الاستشراق وبين تحقيق أهدافه . ولاشك كان من أخطر أعمال الاستشراق إعداد موسوعات كاملة وطرحها أمام الباحثين العرب والمسلمين ليمكنهم من أن يجدوا مايريدون البحث عنه قائما فيلجئون إليها دون أن يكلفوا أنفسهم عناء البحث عما تتضمنه من حقائق أو أباطيل .

ومن هذه المراجع التى يجب مراجعتها فى حيطة وحذر لاحتوائها على كثير من الشبهات .

دائرة المعارف الإسلامية ، والمنجد ، والموسوعة العربية ، وبروكلمان فى الأدب العربى ، والهدف الأكبر من العمل تقديم مثل هذه الأعمال للعمل على تشويه الحقائق وخلق شعور بالنقص ، وإحساس بالازدراء ، من شأنه أن يسيطر على نفوس المسلمين والعرب .

وقد أجمعت كتابات المنصفين على أن المستشرقين لم يتخلوا بعد عن تعصبهم ، وأن عملهم لم يتحرر من الهوى .

وقد أشار رجلين منهم إلى هذا وأشار (جب) إلى ظاهرة الأحكام المسبقة على الإسلام . ولا شك أن الزعم الجديد الذى يروّج له المستشرقون فى السنوات الأخيرة من أن أبحاثهم قد أخذت الموضوعية والتجرد من الأهواء ، والأخذ بأسباب البحث العلمى ، هذا الزعم لا يثبت أمام الصورة المشوهة والعبارات الحاقدة ، والأهواء الدفينة التى تظهر هنا وهناك من وراء السطور ، بالرغم من محاولة إخفائها ، هذا الإخفاء هو الذى جد على هذه الأبحاث .

وقد عمل (التبشير) على تحقيق هدف أساسى من أهداف النفوذ الأجنبى وهو إخراج المسلمين والعرب من القيم التى تدفعهم إلى الحرية ومقاومة النفوذ الأجنبى ، وعدم الانصهار فى الأممية أو العالمية ، وإقامة مجتمعهم الخالص المستمد من قيمهم وتاريخهم ولغتهم . فإذا استطاع الاستعمار إذابة المسلمين والعرب فى بوتقة العالمية والأممية لم يعد هناك خطر من ناحيتهم ، عندئذ تصبح الحضارة الغربية وقد حققت أكبر انتصاراتها بأن أحالت المسلمين والعرب إلى عبيد فى القطيع الذى يسود فيه الجنس الأبيض الغربى صانع الحضارة .

وقد أجمعت خطط المبشرين ودراساتهم وأبحاث مؤتمراتهم

على أن الهدف من التبشير هو إنشاء عقلية عامة تحتقر كل مقومات الإسلام ، وإبعاد العناصر الإيجابية عن مراكز التوجيه ، فإذا لم تنجح دعوة التبشير فى إدخال المسلمين فى دين جديد فلا أقل من أن تكون قد أخرجته من الإسلام .

وتتمثل خطة التبشير التى رسمها (شاتليه ، زويمر ، ماسنيون ، وغيرهم) فى أن يكون عمل التبشير مبنيا على قواعد التربية العقلية والتأثير على عقول المسلمين وقلوبهم ، فإن عجزت إرساليات التبشير عن زحزحة العقيدة الإسلامية عن نفوس معتنقيها فإنها تستطيع أن تحقق هدفها من هدم الوحدة الإسلامية بين الأقطار التى تتغلل مع اللغات الأوروبية وذلك عن طريق نشر اللغات الإنجليزية والألمانية والهولندية والفرنسية ، مما يمهد إلى إدخال الأفكار الغربية الهادمة للفكر الإسلامى عن طريق هذه اللغات .

ومن هنا تسقط الأوضاع والخصائص الاجتماعية الإسلامية وتحل بدلا منها الخصائص الغربية . ونرى زويمر شيخ المبشرين يقول : إن القضاء على الإسلام فى مدارس المسلمين هو أكبر واسطة للتبشير ، وأن المسلم لا يكون مسيحيا مطلقا ولكن الغاية هى إخراج المسلم من الإسلام فقط ليكون إما ملحداً أو مضطرباً فى دينه وعندها لا يكون مسلماً ، وهذه هى أسمى الغايات الاستعمارية .

ومن مناهج . التبشير وأنظمته تلك القاعدة التى تقول إن جميع الوسائل تستعمل فى سبيل التبشير ، ويقول مؤلف كتاب (طرق العمل التبشيرى فى المسلمين) لنجعل هؤلاء القوم المسلمين يعتنقون ديننا ان نقنعهم فى الدرجة الأولى بأننا نحبهم فنكون قد تعلمنا أن نصل إلى قلوبهم ، وعلى المبشر بأن يحترم فى الظاهر جميع العادات الشرقية والإسلامية حتى يستطيع أن يصل إلى بث آرائه بين من يصغى إليه ، كما تشمل هذه الأساليب در اسة اللهجات العامية واصطلاحاتها نظرية وعملية ومخاطبة عوام المسلمين على قدر عقولهم وأن تلقى الخطب بأصوات رحيمة وبفصاحة وأن يخطب المبشر وهو جالس ليكون تأثيره أشد على السامعين وأن يكون خبيراً بالنفس الشرقية ، وأن يستعمل التشبيه والتمثيل أكثر مما يستعمل القواعد المنطقية ، وأن يكسب ثقة الشباب بالحديث عن موضوعات اجتماعية وخلقية وتاريخية ومنها يستطرد إلى مباحث الدين . وعلى المبشر أن يحاول كسب القلوب بتظاهره بالميل إلى مطامح المسلمين من الاستقلال السياسى والاجتماعى .

وفى طريق العمل استطاع التبشير أن يكون فى العالم الإسلامى دعاة من أنفسهم ركز الاستعمار على أسمائهم ، وأكسبها شهرة ولمعانا ، ودفع بها فى خضم الثقافة والصحافة

وآزرها حتى تصدرت وأصبحت قوة لها وزنها ، حيث تولت كبريات المناصب فى الجامعات والصحف والأعمال الرسمية .

ويقوم عمل التبشير فى مجال التعليم على فرض ثقافة الغرب وتاريخه وبطولاته ولغته وإقصاء لغة العرب والمسلمين وتاريخهم وإثارة الشبهات حولها وانتقاصهاوفى مجال الثقافة يعمد إلى إثارة الاتهامات إلى الشريعة الإسلامية واللغة العربية والحديث النبوى على نحو يفتح باب الشكوك والاتهامات ، وهو يجرى فى ذلك على مخطط مدروس وأسلوب رقيق ، فهو لا يلبث أن يثير قضية جزئية أخرى بحيث لا يشعر القارىء أو الباحث أن هناك ترابطاً بين هذه الإشارات وبعضها اعتماداً على أنه على المدى الطويل يستطيع أن يكسب من وراء ذلك خصماً للفكر الإسلامى وصديقا للتبشير والفكر الغربى يكون عوناً على أبناء وطنه ودينه وتاريخه . ١٢٢ أ . هـ

وبعد ، فإن هدف التغريب والغزو الثقافى الذى تقدم به النفوذ الغربى عن طريق مؤسستى الاستشراق والتبشير يرمى إلى ثلاثة أهداف رئيسية : هى :

أولاً : تزييف مفهوم الإسلام .

ثانياً : تحطيم الوحدة الإسلامية .

ثالثاً : إفساد المراجع والمصادر .

الباب الثانى

تزييف مفهوم الإسلام الأصيل

الفصل الأول :

تزييف مفهوم الإسلام الأصيل .

الفصل الثانى :

تحطيم الوحدة الإسلامية .

الفصل الثالث :

إفساد المصادر والمراجع .



الفصـــل الأول

تزييف مفهوم الإسلام الأصيل

استهدف التغريب والغزو الفكرى فى الأساس تزييف مفهوم الإسلام الأصيل ، وإخراجه من تميزه الخاص الذى كوّن الذاتية الإسلامية : هذا التميز يتمثل فى مفهوم التوحيد الخالص الذى آمن به المسلمون ، والذى يقرر إسلام الوجه لله فى العبادة والاستعانة ، ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ أو مايسمى توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية ، وهو ما يختلف تماماً عن مفاهيم الشرك والتعدد والاستعانة بالأنصاب ﴿ **لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى** ﴾ هذا المفهوم الأصيل الجامع هو الذى صنع الإيمان الإسلامى العميق ، الذى جعل المسلم قادراً على التضحية بنفسه وماله فى سبيل نصرة دين الله ، والدفاع عن ثغوره والمرابطة فى مراصد البلاد حتى لا يستطيع العدو من أن يجد منفذاً ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّنْ قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ** ﴾ .

وقد تميز الإسلام فى هذا المجال بالجهاد ، وبذل النفس ،

تلك الفريضة الماضية إلى يوم القيامة ، وبالأمر بالمعروف وبالنهى عن المنكر .

هذا المفهوم كان هدف النفوذ الأجنبى ، وكان من أكبر مطامح التغريب والمقرز الثقافى لأنه عن طريقه وحده يستطيع أن يكسر القدرة الإسلامية الحامية لحصون الإسلام ، والقائمة دون قدرة العدو للتسرب إليه ﴿ **وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً** ﴾ .

ولقد كانت آية العقيدة الإسلامية تتمثل فى القدرة على المقاومة ، والمرابطة الدائمة وإبقاء عوامل الحفاظ على الكيان فى مجالات العقيدة واللغة والتاريخ ، وتصحيح المفاهيم وكشف زيفها وتقديم مفهوم الإسلام الأصيل ، والخروج من دائرة التبعية والاحتواء ، والارتفاع فوق أزمات الغزو وامتلاك الإرادة ، واستئناف العطاء الحضارى بعد توقفه .

ومن أجل القضاء على هذا التمييز الخاص وهذه القدرة على الصمود ، التى عرفت عن المسلمين فى مختلف الأزمات

والمواقف والمواجهات مع قوى الحروب الصليبية ، وحروب الفرنجة ، وحروب الاستعمار ، كانت مهمة « التغريب » :

العمل على تزييف حقائق الإسلام وتفريغه من محتواه الحقيقى وجوهره الرفيع ، وقد عمل التغريب عن طريق الاستشراق فى جميع الميادين على بث سمومه بغية توهين قيم الإسلام فى نفوس أصحابه ، وإشاعة روح الشك والاستهانة ، وإثارة الشبهات حتى ينتقص الإسلام فى نظر أهله .

ومن ثم يعلون شأن الفرق الضالة والدعوات المنحرفة كالاعتزال والتصوف الفلسفى ، والباطنية وإخوان الصفا دعاة وحدة الوجود والحلول وشعر الزنادقة (أمثال أبو نواس وبشار) ويركزون على من كانوا تابعين أو أولياء للفكر اليونانى القديم .

وهم فى مجال التاريخ والتراث يثيرون الشبهات ، ويحاولون تصوير التراث عاجزاً وعاطلا ، وتفريغ التاريخ الإسلامى من مظاهر قوته وصموده ، وفدائيته ، ويحجبون جوانب هامة كالنظريات التى مازال الغرب يستعلى بها ، وهى مأخوذة من

العلوم الإسلامية ، أو القوات الإسلامية التى قدمتها الشريعة الإسلامية للفكر الإسلامى ، لأنها تكسب للإسلام فى الغرب أنصارا .

وهم على الرغم من مظهرهم العلمى الخادع يضمرون فى أنفسهم حقداً وكراهية واستخفافاً بالإسلام ، ويعملون على حجب عظمة الإسلام عن الغربيين أنفسهم وذلك حتى لا يزحفون نحوه .

وهم يحاولون إبراز دور الأوربيين كمحررين للعالم فى إهاب استعلاء بالعنصر الأبيض صانع الحضارة ، وإنكار أى دور للشعوب الملونة .

وبالجملة فهم يعملون على خلق روح اليأس فى النفس المسلمة إزاء قدرتها على استئناف دورها فى بناء الحضارة ، ويرمى التغريب إلى غاية هى : التشكيك فى قوة المنهج الإسلامى ، وإضعاف العلاقة بين المسلم وبين الإسلام كدين ، وكمجموعة من القيم والمبادىء العليا .

ذلك أن سياسة القوى الأجنبية لا ترحب بقوة الإسلام فى

المجتمعات الإسلامية المعاصرة ، ولا ترحب باتجاه الشباب فى هذه المجتمعات إلى الايمان بالإسلام والتمسك به ، لأن قوة الإسلام حين تبرز تحول دون عملية النهب العالمى ، الذى يقوم به الغرب للإمكانات الاقتصادية فى عالم الإسلام ، ولذلك فهى تحاول أن تروج لمفهوم إسلامى زائف ، يوصف بالتسليم أو الخلط بين مفاهيم الأديان والأيديولوچيات بحيث يختفى تماما تميز الإسلام الواضح ، وحتى يفعل ذلك فهو يروج لمفاهيم الإقليمية والقومية ، والاستسلام لحضارة الغرب المنهارة .

وهم يدعون فى هذا المجال إلى عدة أمور :

١ ـ إحياء الفرق القديمة وإنشاء فرق جديدة :

وكان إحياء الفرق القديمة والمذاهب الهدامة من أكبر الأعمال التى جرى عليها العمل من أجل تدمير مفهوم الإسلام الأصيل الجامع ، فقد عمد التغريب إلى إحياء دعوات الباطنية والإباحية والإلحاد وإنكار الأديان .

وقد كانت الماسونية على رأس هذه الدعوات التى تخفت وراء الفكر الباطنى ، والتى عمدت إلى محاربة الإسلام ، كما ظهرت دعوات هدامة جديدة هى : البهائية والقاديانية .

وهى حركات بديلة ووريثة للقرامطة وإخوان الصفا والاسماعيلية مع تعدد الأسماء واختلاف الأزمان والهدف الواحد ، كما سخرت فلول الدولتين المجوسية والرومانية طوائف القرامطة وإخوان الصفا لتهديم الدولة الإسلامية ، كما استغل الصليبيون الاسماعيلية والنصيرية لمحاربة آل زنكى وصلاح الدين .

وقد عمدت دول الاستعمار على تبنى هذه الحركات الهدامة وحمايتها ، للدس ضد الإسلام ، وتهديم قوائمه ، وترمى فكرتهم إلى إظهار دين جديد ونبوة جديدة ، والتشكيك فى الشريعة الإسلامية وأصول الإسلام ، وقد اتسع نطاق هذه الدعوات فى البلاد الإسلامية ، وخاصة فى إيران والهند وباكستان وأفريقيا .

٢ ـ وحـــدة الأديـــان :

ومن ذلك دعوتهم إلى وحدة الأديان ، وكل دعوة إلى وحدة الأديان اليوم إنما ترمى إلى انتقاص مكانة الإسلام ، والعمل على الغض من مفهومه الخاص للوحدانية ، ودعوة إلى انشطار دعوته .

وقد جرت هذه المحاولات فى الماضى وعلى مراحل متعددة ، وتبين أنها لا ترمى إلى هدف واضح ، وقد ثبتت من ذلك فكرة الحوار التى تحاول الحصول على اعترافات من علماء المسلمين دون تقديم بديل مماثل ، فما تزال أطراف الحوار لا تعترف بالإسلام دينا سماويا ولا بالرسول (ﷺ) خاتما للأنبياء .

وقد طالب المسلمون : الجانب المسيحى بإيقاف عمليات التبشير والتنصير فى العالم الإسلامى كله ، كمقدمة للدخول فى حوار يهدف إلى وقوف الأديان السماوية فى مواجهة الشيوعية والمادية .

٣ - الإســرائيليــــات

ومن أخطر المتحديات التى واجه بها التغريب الفكر الإسلامى ظاهرة (الإسرائيليات) وهى إضافات خطيرة ونظريات باطلة اقتبست من نصوص قديمة وثنية ومجوسية من خارج مفهوم الإسلام وذاتيته المختلفة والمتميزة عن الأديان والفلسفات ، تسربت على الزمن وقصد إلى إضافتها خصوم الإسلام وأعدائه رغبة فى عزله عن جوهره الأصيل ، وقد شكلت مع الزمن حاجزاً خطيراً عازلاً عن مفهوم الإسلام فى بساطته ووضوحه ويسره وإيجازه .

وأضافت تفاصيل كثيرة باطلة ، وتوسعات عديدة تتعارض أساساً مع مفهوم الإسلام القائم على التوحيد الخالص ، والمفصل الواضح الصريح بالإيمان بالغيب ، والقائم على نهج القرآن فى مواجهة مختلف القضايا والأمور السابقة وغير المتطورة ، وخاصة مايتعلق بعالم الغيب وماوراء العالم المحسوس ، وفيما يتعلق بالعالم الآخر والتاريخ القديم السابق على الإسلام وتاريخ الأمم السابقة .

وقد أضيف إلى الإسرائيليات مع تطور الفكر الإسلامى إضافات أخرى تسربت من الفلسفات اليونانية والهندية ، والديانات الفارسية وغيرها ، مما كون حصيلة ضخمة استعملها الشعوبيون وأعداء الإسلام والعرب فى القديم سلاحاً لتحويل الأنظار عن مفهوم الإسلام وجوهره ، بهدف إخراج الإسلام عن مضامينه ، وإتاحة الفرصة لمفاهيم الوثنية والثنائية والتثليث لغزوه .

وقد واجه المسلمون هذه الدخائل الإسرائيلية الباطنية والمجوسية وغيرها وفندوها وكشفوا عنها ، ويطلق علماء المسلمين كلمة (إسرائيليات) على جميع العقائد غير الإسلامية ، ولا سيما تلك التى رسمها اليهود والنصارى فى مفاهيم الإسلام ، وفى مقدمة هذه الإسرائيليات تلك الإضافات للنصوص الثابتة والتفسيرات للآيات القرآنية ، والتوسع فى أوصاف الملائكة والجنة والنار والحشر ويوم القيامة وتصويرها تصويراً حسيا ، وقد أولت دائرة المعارف الإسلامية وكتابها من المستشرقين اهتماماً بالغاً

بالإسرائيليات وعدوها موادّ أساسية فى الموسوعة كأنها من صميم الإسلام .

وفى العصر الحديث تجددت هذه الإسرائيليات وظهرت إسرائيليات جديدة ، هى عبارة عن مفاهيم وثنية ومجوسية ويهودية قديمة يجرى صياغتها فى شكل نظريات علمية فى مجال النفس والأخلاق والاجتماع ، وهى فى جوهرها معارضة تماماً لمفهوم الدين الحق ، ومعارضة للفطرة والعقل والعلم .

٤ ـ إحيــــاء الفكــــر الوثنــى :

لقد كان من أبرز خصائص الإسلام أنه حرر الإنسان من زيف الفكر البشرى والوثنى والمادى الذى تشكل نتيجة استعلاء الدعوة العنصرية ، أو خطأ تفسير الرابطة بين الألوهية والبشرية ، أو محاولة إثارة الشبهة حول وحدة البشرية ووحدة الدين وثبات الأخلاق ، أو حول الفصل بين الدين والأخلاق ، أو بين العبادة والشريعة ، أو الدعوة إلى إنكار الغيب والجزاء ، أو الدعوة إلى سقوط التكليف ، أو

الفيض والإشراق والاتحاد والحلول ، وفصل الدين عن المجتمع والدولة ، أو طرح النظرية المادية المنكرة لوجود الخالق ، أو الدعوة إلى التحلل والإباحة ، والتحرر من الضوابط والحدود .

وقد أعادت حركة التغريب هذه الشبهات مرة أخرى إلى محيط الإسلام بإحياء الفكر الباطنى والوثنى عن طريق إحياء الفلسفات الإغريقية القديمة ، والفلسفات المادية الحديثة .

فقد طرحت حركة التغريب فى أفق الفكر الإسلامى القائم أساساً على التوحيد مفاهيم متعددة ، وسموم كثيرة استهدفت بعث الخلافات القديمة التى قضى عليها الإسلام ، وجاء النفوذ الأجنبى فعمد إلى ابتعاثها من جديد ، لخلق جو من القلق والريبة والشك والفساد الخلقى والاجتماعى ، وخاصة فيما يتعلق بعالم الغيب .

ولقد كان المسلم فى غنى عن هذه التصورات لأن الإسلام قدم له جوهر المفهوم الإنسانى الأصيل الجامع ، سواء

بالنسبة لعالم الشهادة أو لعالم الغيب ، وبذلك أغنى المفهوم الإسلامى عن فروض الفلسفة وتقولاتها .

٥ ـ إحيـــاء الفلسفات :

وقد وقف الإسلام موقفاً واضحاً فى التفرقة بين العلم والفلسفات ، أما العلوم فقد بنى لها منهجها التجريبى ، وقبل من العلوم القديمة مالم يكن متناقضاً مع التوحيد ، ورفض من الفلسفة مايتناقض مع التوحيد .

ولقد قاوم علماء المسلمين على مدى التاريخ وثنيات الفلسفة واضطرابها ، وماديتها وانحرافها ، وكشفوا زيفها وحطموا وجهتها .

كما اعتبر الذين اشتغلوا بها ليسوا من مفكرى الإسلام ، وهكذا كانت الفلسفة بجملة دخيلة على الفكر الإسلامى لأنها قامت على استيراد مفاهيم الفلسفات اليونانية والهندية والفارسية والمجوسية والتى لم تكن علماً نافعاً ، وإنما كانت

من ركام الفكر البشرى وكانت مناقضة لمفهوم التوحيد الخالص .

ولقد أكد العلماء أن الكلام والاعتزال والفلسفة والتصوف الفلسفى تفسيرات بشرية غير منزهة عن الخطأ وقابلة للتجاوز .

وقد كان علم الكلام عملية دفاع وحجج إزاء الملل الأخرى المعتمدة على المنطق اليونانى خلال مرحلة من المراحل وانتهى دوره .

ولقد كان الهدف المبين من إعادة طرح هذه القضية اليوم بعد أن حسم أمرها الفكر الإسلامى عملاً من أعمال إثارة الشبهات فى صدور المسلمين من جديد ، فقد عمدت حركة التغريب والغزو الثقافى إلى طرح الفكر الغنوصى الشرقى والفكر اليونانى الوثنى مرة أخرى فى دائرة الإسلام للقضاء على مفهوم التوحيد ، أو التشكيك فيه .

ولقد كان الإمام الغزالى ، والإمام ابن تيمية من أقوى

خصوم الفلسفة الوثنية والمهاجمين لها ، وبعد الغزالى رفض علماء الكلام منطق الفلسفة رفضاً قاطعا ، أدى إلى موتها ، وليس معنى هذا موت الاتجاه العقلى ، ولقد انتقد الغزالى ما كتبه الفلاسفة عن دعوى قدم العالم ، وإنكار إحاطة العلم الإلهى بالأمور صغيرها وكبيرها وإنكار البعث .

وكان دور الغزالى مقدمة لدور الإمام ابن تيمية الحاسم ، ولم يرفض الغزالى من الفلسفة مايتعلق بالمنطق والطبيعيات أو الرياضيات ، وإنما رفض الفلسفة الوثنية التى كانت تسمى عن اليونان .

« علم الأصنام »

ولقد أكد الباحثون أن انتشار الفلسفة اليونانية وسيطرتها هى أكبر العوامل التى أدت إلى ضعف الفكر الإسلامى وجموده ، والمعروف أن حركة التغريب والغزو الثقافى أولت اهتماماً كبيراً للفلسفة ، وأحيت (ابن سينا والفارابى) وغيرهما من أجل تدمير مفهوم التوحيد الخالص .

وكذلك فعلوا فى الجانب الآخر عندما أحيوا الفكر الصوفى الفلسفى الذى خاض فى مفاهيم الحلول والاتحاد ، ووحدة الوجود وغيرها من نظريات عرفها مذاهب الغنوص والروحية القديمة ، وكان أخطر ما وصل إليه الفكر الصوفى الفلسفى نبذ العقل وإسقاط التكليف من صلاة وصوم وحج وفرائض بدعوى أنها من شأن العامة ، ومسألة التفرقة بين الظاهر والباطن ، والإيغال فى تفسيرات باطنيـة للمصطلحات والكلمات ، تختلف عن مفهوم السنة الجامعة ، وهى مصطلحات لم يعرفها الحديث النبوى ، ولا العهد الأول .

ولقد أدى هذا الطرح التغريبى للتصوف الفلسفى المنحرف إلى مايسمى مرحلة الجبرية ، التى جعلت من بعض المتصوفة أولياء للنفوذ الاستعمارى ، بعد أن كان الأبرار منهم حملة لواء المقاومة للحروب الصليبية والغزو الأجنبى ، وقد حمّل التصوف الباطنى مالا يحتمل ، ووصل الموقف من الزهد والتقشف مبلغاً وصل إلى قريب من مفهوم الرهبانية المسيحية ، وكانت المحاولة فى جملتها ترمى إلى إخراج

المسلمين إلى العزلة والانقطاع ، وحتى يفقد المسلمون قدرتهم على السعى فى الأرض وعمارة الكون .

وكلا الدعوتين التىْ حمل لواءهما التغريب والغزو الثقافى ، تخرج عن مفهوم الإسلام الجامع ، فالعقلانية منفصلة حين تستعلى باسم الاعتزال لا تمثل الإسلام ، والروحانية ، منفصلة حين تستعلى باسم جبرية التصوف لا تمثل الإسلام .

والإسلام يعطى العقل مكانه الصحيح ، فهو مناط التكليف ولكنه لا يدعو إلى سيطرته ، وكلا المذهبين العقلى والروحانى قائم بمفرده ، ولا يستطيع أن يصل إلى الحقيقة من حيث أن الإنسان جماع بين الروح والمادة .

وفى مفهوم الإسلام الأصيل ، أن العقل وحده لا يستطيع أن يهتدى الا بهدى من الوحى ، فالعقل خادم للحقيقة ، ولا يمكن له بدون توجيه صادق أن يصل إلى شىء ، فإذا وضع بين مقولات ضالة مضلة كالفكر البشرى فإنه يعجز عن أن يصل إلى الحق ، وقد تأكد أن العقل وحده غير كاف فى

الوصول إلى فهم الإنسان لعلاقته بالله تبارك وتعالى ،ومهمته فى الحياة ، ومسئوليته وأمانته والتزامه الأخلاقى ، ولابد من أن يحتاج إلى نور وهدى من النبوة والوحى .

ويردد التغريبيون من دعاة الغزو الفكرى قضية الدور الذى قام به المعتزلة ، والحقيقة أن هزيمة المعتزلة كانت نتيجة طبيعية لاختلاف هذه الدعوة مع جوهر الإسلام ، ومع طبيعة الفكر الإسلامى ونهج المعرفة فيه ، هذا المنهج الذى يقوم على جماع العقل والوجدان .

لقد كان الاعتزال أساسا خطة مواجهة للمذاهب الفلسفية اليونانية التى كانت تحتمى وراءها الأديان المعارضة للإسلام ، وقد أدى دوره فى هذا المجال على أحسن وجه ، وواجه علماء الكلام فى الأديان والفلسفات الأخرى فى قوة وأدال منهم ، وحقق كثيراً من النتائج ، وأدخل عدداً ضخماً من الوثنيين فى الإسلام .

غير أن المعتزلة لم يلبثوا أن بلغوا درجة من الغلو فى تأكيد

موقفهم وفكرتهم ، وبذلك أعلوا شأن العقل وبلغوا فى ذلك مبلغاً خطيراً .

ولما كان المسلمون يؤمنون بالغيب والشهادة ، ويؤمنون بالوحى والعقل ، ويتكامل إيمانهم هذا ويتشكل فى وحدة واحدة ، فإن خروج المعتزلة عليه عرضهم للهزيمة ، وعرض فكرهم للانهيار تحت أضواء مفهوم الإسلام الجامع ، ومن هنا كانت هزيمة المعتزلة فى الحقيقة نصراً لأصالة الإسلام ، وتعديلا لمساره إلى الطريق الصحيح ، أما دفاع التغريب عنهم فلأنه يراهم من أتباع الفكر اليونانى والحاملين لواءه ، والخارجين بأتباعهم ومن يعجب بهم عن مفهوم الإسلام الصحيح والأصيل .

٦ ـ الفلسفة المادية :

كذلك قد حرصت حركة التغريب والغزو الثقافى إلى فرض مفاهيم الفلسفة المادية تحت اسم « العلم » اعتماداً على خيوط علمية واهية ، بحجة القول أن استعمال أسلوب العلم

التجريبى والطبيعى فى الدراسات الإنسانية باطل وكاذب ، ولا يمكن أن يؤدى إلى تقديم نتائج صحيحة ، والواقع أن الإسلام يستطيع أن يقدم إجابات محددة ومقنعة على جميع الأسئلة التى تدور حول الإنسان والكون ، وهذا الفهم أشمل وأعم ، فإن العلم مهما تقدم وتطور فهو نسبى فى المعرفة مشروط بعطاء عصره وبيئته ، فالعلم لا يثبت أمام المتغيرات والمعرفة نسبية ، أما الدين الحق فإنه يتجاوز كل الفلسفات والعلوم .

والواقع أن نظرة الإسلام إلى الوجود والكون والإنسان بمفهومه الجامع الربانى ، المصدر الإنسانى ، فالوجهة تختلف اختلافا عميقا عما يقدمه الغرب من نظريات مصدرها الفكر البشرى بأهوائه ونقصه وتطرفه وماديته وبلا مراعاة للتكامل الذى يقوم عليه الإنسان ويطابقه الإسلام وهو الروح والمادة .

وكل هذا يكشف زيف الفلسفة المادية وقصورها وعجزها عن العطاء ، وما كان لها من آثار خطيرة على أزمة الحضارة

المعاصرة ، ولا ريب أن الفلسفة المادية هى فلسفة أزمات ظهرت فى أعقاب الحروب المدمرة ، فهى لا تستطيع أن تقدم عطاء حقيقيا إيجابيا ، وإنما هى محاولات مرحلية ولذلك فهى لا تتناول الإنسان ككل ، ولا تهتم اهتماما جاداً بمكانه فى الكون ورسالته على الأرض ، بل تعبر عن الجانب المادى فى الإنسان فحسب وهو على كل حال ليس بالجانب الوحيد فى طبيعته .

وهكذا نجد أن المذاهب الفلسفية القائمة الآن . سواء الفلسفة التحليلية فى انجلترا أو البرجمانية فى أمريكا أو الوجودية فى غرب وجنوب أوروبا ، أو المادية الجدلية فى شرق أوروبا فكلها فلسفات مادية لا تتناول الإنسان إلا على أنه حيوان خاضع لمطامع الطعام أو الجنس .

وهى تفرض وجهات نظر منوعة دون عناية بتربية الإنسان كإنسان ، بل فى مجموعها تبرير للواقع الفاسد المنحرف ، الذى يتمثل فى الاتجاه إلى القوة من ناحية ، وإلى الإباحة من ناحية أخرى ، ومن هنا قصرت النظم التربوية العالمية عن

تكوين النموذج الإنسانى المتزن من الجانبين الفكرية والخلقية ، وقد احتجب عن الغرب أثر الدين الحق وروحانيته ، وأخلاقه وتصوره للمجتمع الإنسانى ، وقدرته على تنظيم أمور الحياة ، ذلك أن « الدين الحق » دائما هو إلى جانب نور العقل أكبر عامل يرشد الإنسان ويساعده فى حياته ، ومعنى هذا كله أن الفكر الإسلامى يجب أن يتحرر من الفلسفة المادية ، وأن يقيم مفاهيمه على تلك الأصول الأساسية التى جاء بها الإسلام ، وأن يكون صادق الإيمان بالله تبارك وتعالى ، مالكا وخالقا ومسيرا للأمور كلها ، وأن يفهم مهمة الإنسان فهما صحيحا باعتباره مستخلفا فى الأرض ، وأن تكون العناية بالإنسان فى جوانبه كلها ، الروحى والبدنى والعقلى مقدمة على كل شىء ، وأن يحذر العلماء النظر فى جزئيات الأشياء ، ويتجهوا إلى النظرة الجامعة الكلية .

٧ ـ الإسرائيليات الحديثة :

ولم تكن الإسرائيليات الحديثة إلا صورة مجددة من

الإسرائيليات القديمة غير أنها وضعت فى قالب علمى خادع وألقى عليها ظل من براعة التعبير وشكلت فى نظريات مستحدثة ، ولقد كشف كثير من الباحثين عن الجذور الأساسية لها فى :ـ

أولاً : مذهب التحليل النفسى لفرويد .

ثانياً : مذهب ليفى بريل فى القول بتطور الأخلاق .

ثالثاً : مذهب دور كايم فى القضاء على المسئولية الفردية وتغليب المسئولية الجماعية .

رابعاً : مذهب ماركس فى إعلاء التفسير المادى للتاريخ .

وفى مجال هدم (إسلامية) الثقافة كانت المحاولات والمؤامرات تدور حول تزييف التاريخ ، وتصوير حملات الباطنية والقرامطة على أنها حركات ثورية إصلاحية ، أو حركات عدل اجتماعى .

الفصـــل الثانى

تحطيم الوحدة الإسلامية

واستهدف التغريب والغزو الثقافى تحطيم الوحدة الإسلامية ، وتمزيق الأمة الإسلامية إلى قوميات وإقليميات تحت أسماء مختلفة فى ردة خطيرة من وحدة العقيدة إلى فرقة العناصر ، وقد عمد التغريب إلى التركيز على إبراز الخلافات بين الأقطار والأجناس ، وأعلى من شأن الفوارق بين الفرق والمذاهب فى الدين الواحد ، وبين الأديان فى مجموعها واحتواء بعض العناصر ، وكان الهدف هو تمزيق الكيان الواحد للحيلولة دون تجمع المسلمين على وحدة سياسية أو وحدة فكرية ، وغرس كيانات أخرى فى المنطقة ، ودعوة الأجناس والعناصر إلى المطالبة بأوطان مستقلة ، وتحريضها على الخلاف والصراع .

النـــزعة الوطنية :

وكانت أخطر الدعوات : دعوة الإقليمية ودعوة القومية .

وقد عمد الاستعمار إلى إقامة كيانات منفصلة ، وأوحى فى كل منها إقامة تاريخ خاص بها منفصل عن التاريخ الإسلامى العام ، ومتصل بتاريخ ماقبل الإسلام ، لحجب أثر الإسلام الذى غير تاريخ المنطقة كلها ، وقضى على التاريخ السابق بعد أن أوجد ما أطلق عليه « الانقطاع » الحضارى .

ومن ثم أقام مفهوم الوطنيات التى تتصل بالأرض ، وأعلى من شأن اعتباراتها ، رغبة فى الحيلولة دون قيام وحدة إسلامية أو قومية بين أهل الوطن الإسلامى كله ، التى تجمعهم متشابهات عميقة وخلافات قليلة .

وقد كانت الدعوى إلى الوطنية ترتبط بالأرض ، كما جاءت الدعوة إلى القومية مرتبطة بالعرق والدم ، وقد بلبل التغريب والغزو الثقافى الأمة الإسلامية بهذه التمزقات فى محاولة للحيلولة دون الوحدة الإسلامية الجامعة ، وعمل على إلقاء التعارض والمضادة بين هذه الكيانات المصطنعة ، وإعلاء شأن الوطنية الضيقة ، ومحاولة جعلها (قومية) حتى تفصل المصريين عن العرب ، وكذلك فعل الاستعمار حين جزّأ

الشام ، وفصل المغرب إلى أربعة أقطار ، ومع هذا جرت إثارة الخلافات القديمة البائدة ، والتركيز على ملامح طبيعية تخلف فيها كل قطر عن الآخر لخلق روح الإقليمية ، غير أن هذه المحاولات عجزت عن تحقيق هدفها ، ثم برزت نظرة شاملة من وراء انحراف دعوات الوطنية بالمفهوم الضيق ، أو القومية بالمفهوم الغربى تقوم على الترابط بين حلقات ثلاث فى الوطن الواحد : الوطنية بمعنى الأرض وهى تتعلق بالأرض فى كل قطر ، والقومية بمعنى الأمة وهى تمثل الوحدة العربية ، ثم وحدة الفكر الإسلامى فى مجال الثقافة التى ترتبط باللغة والتاريخ والتراث ذى المصدر الواحد .

والواقع أن محاولات التغريب والغزو الثقافى كانت ترمى إلى الفصل بين هذه الحلقات الثلاث المتكاملة ، وقد وضح ذلك حين رفض المسلمون مفهوم الوطنية المجردة ، أو القومية المستوردة من الغرب ، وأكدوا أن للعالم الإسلامى تاريخه العريض ، وتجربته الخاصة التى صاغها وفق ظروفه ومقومات فكره وتراثه .

النـــزعة القـــومية :

استهدفت فكرة المقومات التى طرحها التغريب تمزيق وحدة الأمة والقضاء على روح الإخاء الإسلامى ، والتعارف الجامع للشعوب التى وحدها الإسلام تحت راية « **لا إله إلا الله . محمد رسول الله** » .

ومن رأى الفيلسوف المسلم إقبال : أن الإنسانية لن تستريح أبدأ مادامت تسودها هذه النظرية المشئومة التى تقطعها إربا بحيث لا يكاد الصدع يلتئم ، فقد أخذت نظرية القوميات مفهوم العنصرية ، وإيقاع الخلاف والصراع بين الجيرة المتلاقية ، وإثارة العصبيات التى أدت إلى الحروب والعداوات ، وكان هدف إثارة دعاوى القوميات والإقليميات أمر بعيد المدى ، وهو غرس العنصرية الصهيونية على أنها قومية تضارع العروبة ، وقد سبقها الدعوة إلى إخراج الدولة العثمانية من وحدتها الجامعة بين الترك والعرب بالدعوة إلى الطورانية التى حملت لواء العنصرية البغيضة .

ولما كانت تركيا هى صاحبة النفوذ والحكم ، فقد تعرضت العروبة لخصومة شديدة من الاتحاديين حكام تركيا الذين حملوا لواء (الطورانية) لتمزيق وحدة المسلمين عربا وتركا ، وكان ذلك لحساب الصهيونية .

ولقد كانت فكرة القوميات فى الغرب محاولة للقضاء على الوحدة المسيحية الأوروبية من أجل إدخال نفوذ اليهود الذين كانوا محصورين فى الجيتو ، وكذلك كان قضاؤهم على الوحدة الإسلامية التى كانت تمثلها دولة الخلافة لفتح الطريق أمام الصهيونية إلى فلسطين ، ولقد جرت المحاولات لإدخال مفهوم القومية الغربى مع الكنيسة إلى تصوير العلاقة بين العروبة والإسلام مع الاختلاف البعيد ، فالإسلام هو الذى صنع وحدة العرب .

وقد خدعت دعوة القومية الكثيرين ، وظنوا أنها طريق موصل لعزة العرب ، ولكن التجربة كشفت عن فساد هذا الخط الوافد حين انحرف عن مفهوم الترابط الجامع بين العروبة والإسلام ، وحين تسلطت قوى التغريب ففرعت

العروبة من مفهومها الأصيل ، والتمست لها مفهوماً علمانياً خادعاً خالياً من كل القيم .

العـــروبة والإسلام :

لقد كانت المحاولة ترمى إلى إعطاء القومية مفهوما يجعلها أشبه بالدين أو ترمى إلى تصفية العروبة من مفاهيم الإسلام وهى من أخطر محاولات التغريب ، وذلك فى نطاق الفكرة المسمومة الوافدة التى تقول بأن الدين ليس مقوماً من مقومات الدعوات القومية ، وكيفما يكون الرأى فى هذه النظرية فإن الإسلام ليس دينا بمفهوم الغرب ، أى اللاهوت القائم على العلاقة بين الله والإنسان ، وإنما الإسلام إلى جوار ذلك منهج حياة ونظام مجتمع وثقافة وحضارة .

ومن ثم فإن علاقة الإسلام بالقومية أو علاقة الإسلام بالعروبة هى علاقة عميقة الجذور بعيدة المدى ، حيث ارتبطت منذ أمد طويل ارتباطاً عضوياً ، أما مقومات القومية من لغة وتاريخ فى مجال العروبة والإسلام فلا يمكن الفصل فيما

بينهم ، فاللغة والتاريخ العربيان مرتبطان بالإسلام ارتباطا شاملاً متصلاً على مدى القرون الأربعة عشرة ، وليس هذا قولنا وإنما هو قول بعض العلمانيين والتغريبين حيث لا مفر من الاعتراف به . ولقد كان مفهوم الوحدة العربية مفهوماً إسلامى الجذور منذ بدأت حركة اليقظة ، غير أن الدعوة التغريبية ومحاولة القضاء على أصالة الفكر الإسلامى والثقافة العربية ، كانت دائماً تحاول أن تفرغ مفهوم العروبة من الإسلام ، وتجعله علمانيا مجرداً ، بينما لم تستطع القوميات فى الغرب أن تنفصل عن مفاهيم المسيحية الغربية التى هى بطبيعتها ليست إلا دينا لا هوتيا خالصا .

إحيــــاء ماقبـل الإســــلام :

كما عمدت دعوة التغريب إلى إحياء تاريخ ماقبل الإسلام والإذاعة به ، وتوسيع البحث فيه ، وذلك عن طريق البعثات الأثرية ، وانبعاث الدعوات الفرعونية والفينيقية والآشورية والبابلية والبربرية ، وذلك من أجل إعادة المسلمين والعرب إلى ماضيهم الوثنى قبل الإسلام ، وإعلاء هذا الماضى وتزيينه فى

قلوب المعاصرين ،وكانت للكشوف الأثرية التى حرض النفوذ الاستعمارى على استغلالها أبعد الأثر ، ففى مصر كان كشف قبر توت عنخ آمون فى العقد الثانى من هذا القرن الميلادى منطلقاً للدعوة إلى الفرعونية فى مواجهة الدعوة إلى العروبة والإسلام ، وقد جرى المصريون شوطاً طويلاً فى هذا المجال من حيث بناء القصور والقبور على الأنماط الفرعونية ، والدعوة إلى لغة وأدب وتراث فرعونى ، غير أن حملة هذه الدعوة لم يلبثوا أن فشلوا وعجزوا عن تحقيق وجود مثل هذا التراث ، ووجدوا أن الصلة قد انقطعت بين المصريين وبين الفرعونية خلال أربعة عشر قرناً ، وذلك بالإسلام الذى غير النفسية والعقلية والمزاج المصرى العربى تغييراً كاملاً بعد أن أخرجه من الوثنية ، ودفعه بالتوحيد إلــى منهج ربانى قوامه الفطرة تقبله المصريون تقبلاً ضخماً وتصدروا به العالم الإسلامى كله .

ولا تزال هذه المحاولات تجرى حول الفينيقية والآشورية فى بلاد مختلفة من الوطن الإسلامى يغذيها النفوذ الاستعمارى

الطامع فى تمزيق وحدة الأمة الإسلامية ، والحيلولة دون اجتماعها على فكر موحد يدفعها إلى الأمام بقوة .

ولقد كان الاستعمار والتغريب والصهيونية والماسونية والتبشير على اهتمام موحد بالدعوات القديمة ، التى كانت قبل الإسلام ، وهى كثيرة منها : التراث اليونانى الإغريقى الوثنى بما يحمل من أساطير وملاحم وفلسفة إلهية مسرفة فى التعارض مع التوحيد ، فضلاً عن إحياء بعض مفاهيم الجاهلية من الوثنية وغيرها ، ومن هنا اتخذت هذه الدعوات المنبعثة من التراث القديم كله بما يتصل بالفلسفات الهندية القديمة القائمة على وحدة الوجود والحلول والاتحاد ، والفلسفات المجوسية الفارسية القديمة وغيرها مما يطلق عليه (الفكر الغنوصى) واتخذت من كل ذلك ماتصدر عنه القصص والمسرحيات والمترجمات والكتب ليكون عملاً من عوامل تدمير القيم الإسلامية ، ويحاول رد المسلمين عن التوحيد والنبوة والدين عامة .

إحيـــاء الفـرعونية :

وقد عمد التغريب إلى إحياء الفرعونية بمفهومها الوثنى ، وقد تبين فشل هذه الدعوة لأنه لا توجد أى جذور لغوية أو ثقافية أو حضارية تمكّن من إحياء هذه النزعة . كما تبين مدى (الانقطاع الحضارى) بين مصر الفرعونية ومصر الإسلامية ، ذلك أن العصر الفرعونى توقف قبل أكثر من ألف سنة قبل الإسلام ، تعرضت مصر خلاله إلى غزوات حضارية من الشمال والشرق ، وسادها الاضمحلال الأخير منذ أواخر الأسرة السادسة والعشرين الفرعونية التى كانت تمثل صحوة الموت بالنسبة للتاريخ الفرعونى لمصر ، وبعد ذلك جاء الإسلام لمصر بحق لا ادعاء ، وبأصالة لا بهوى ، ورحب القبط بفتح مصر العربى الذى خلصهم من طغيان الرومان ، وخلصهم من أغلال مطامعهم ، ومنذ ذلك اليوم دخلت مصر فى العصر الإسلامى الذى لم تتوقف مسيرته إلى اليوم ، وهكذا يكون الامتداد الفرعونى قد قطع قبل ألف سنة من دخول الإسلام .

الفصـــل الثالث

إفساد المصادر والمراجع

عمد التغريب والغزو الثقافى فىخطتهماالراميتينإلى تدمير مفهوم الإسلام الصحيح إلى إفساد المصادر والمراجع التى يعتمد عليها المسلم فى فهم عقيدة الإسلام وتاريخه ، وذلك بالسيطرة على دوائر المعارف العالمية وإشاعة سمومهم فى الإسلام ورسوله وكتابه ، وذلك مانجده فى جميع دوائر المعارف البريطانية والأمريكية ، ودائرة معارف لا روس الفرنسية ، وفى السنوات الأخيرة أصدرت منظمة اليونسكو كتابا عن تاريخ العالم جعلت أحد مجلداته عن العالم الإسلامى ، وقد حمل هذا المجلد مفهوماً زائفاً عن الإسلام مستمداً من الخطة التى رسمها التغريب والغزو الثقافى ، وقام الاستشراق والتبشير بإذاعتها وطرحها .

أما المصادر العربية التى نجدها فى يد القارىء المسلم فهى حافلة بالأخطاء والسموم ، لأنها ليست فى حقيقتها إلا ترجمة لدوائر المعارف الأجنبية التى كتبها متعصبو المستشرقين ، وعليها يغلب الفكر الغربى المسيحى من ناحية ، والفكر الصهيونى من ناحية أخرى .

ولقد كانت خطة التغريب والغزو الفكرى ترمى إلى توسيد الثقافة التى ستقدم للمسلمين والعرب عن طريق مدارس الإرساليات ووزارات المعارف الخاضعة لنفوذ الاستعمار بمصادر مسمومة على هذا النحو . تؤكد هدف الغزو الفكرى والسياسى للعالم الإسلامى ، ومن ثم تضمنتها مناهج المدارس الوطنية التى نقلت مناهجها عن معاهد ألإرساليات ، وكان يشرف عليها خبراء أجانب ، هم فى الأصل قسس وعلماء لاهوت ، ومن ثم تضمنتها مناهج الأدب والتاريخ والفلسفة .

وفى نطاق هذا عُرضت الدراسات الحديثة خالية من أثر الإسلام فيها منكرة ذلك الأثر الواضح فى دراسات القانون والعلوم التجريبية ، والنفس والأخلاق والتربية والاقتصاد والسياسة ، فأصبحت هذه العلوم تدرّس على أنها نتاج أوروبى خالص ، فى حين تؤكد الحقيقة العلمية دور الفكر الإسلامى فى بناء هذه المناهج .

وقد حاولت هذه المناهج التى تضمنتها دوائر المعارف (الإسلامية) والموسوعة العربية الميسرة ، والموسوعة الإسلامية الميسرة ، وقاموس المنجد أن تقدم مجموعة من السموم جعلتها أساسا للثقافة التى تقدم للمسلمين والعرب وفى مقدمة ذلك :

أولاً : إن الإسلام دين عقدى يقر العلاقة بين الله والإنسان ولا يتجاوزها ، ومن ذلك فإن أبرز فرائضه الصلاة والصوم والحج وذلك مخالف تماما لطبيعة الإسلام الذى هو نظام مجتمع ومنهج حياة ، وقد جمع العلاقة بين الله والإنسان ، وبين الإنسان والمجتمع ، وأقام قانوناً جامعاً لنظام التعامل والاقتصاد والسياسة .

ثانياً : الادعاء بأن الفكر الإسلامى يستمد بعض مقوماته من الفلسفة اليونانية والقانون الرومانى ، وهو ادعاء زائف كشف خطأه الباحثون ، وأعلنوا موقف الإسلام الواضح من رفض المنهج اليونانى القائم على العبودية والرق ، وأعلنوا أن (أرجانون اليونان) مخالف لمنهج الإسلام الأصيل المتميز ، وأن المسلمين قاوموا منهج الفلسفة اليونانية ، ورفضوا نظرية أرسطو فى المنطق .

ثالثاً : إنكار فضل المسلمين على العلوم وإنشائهم المنهج التجريبى الذى هو أساس الحضارة المعاصرة ، والادعاء بأن المسلمين لم يكونوا الا مترجمين للفكر اليونانى ، وتجاهلوا تماما دور علماء المسلمين أمثال : ابن خلدون فى إنشاء منهج التاريخ ، ومنهج الاجتماع ، وأنكروا دور علماء التجريب فى مجالات الضوء والفلك والطب وغيرها .

رابعاً : الادعاء بأن الغرب هو الذى بعث النهضة فى مجتمع المسلمين بحملة نابليون ، وهذا زعم باطل ، فإن المسلمين استيقظوا من داخلهم ، وكانت يقظتهم قبل حملة نابليون بأكثر من خمسين سنة ، وذلك حين علت صيحة التوحيد التى قادها الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى الجزيرة العربية ، وصيحة العلماء فى الأزهر الشريف .

خامساً : تصوير رسالة الإسلام وانتشارها فى مصر والبلاد العربية على أنها أشبه بالاحتلال اليونانى والرومانى ، وهذه محاولة ماكرة ذلك أن المصريين وأهل الشام والمغرب رحبوا برسالة الإسلام لأنها حررتهم من جور الرومان وظلمهم ، وحيث لم تفرض عليهم دخول الإسلام وإنما اعتنقوه بمحض إرادتهم .

سادساً : الادعاء بأن لليهود مكاناً فى فلسطين أو فى الجزيرة العربية مع أن كل حقائق التاريخ تثبت أنهم دخلاء على هذه المنطقة ، وأن قيام دولة داود وسليمان لم تستمر أكثر من أربعين عاماً ، وأن كل محاولات اليهود فى الادعاء بأن لهم أثراً فى الجزيرة العربية أو فى حضارة العرب قول باطل ومضلل .

سابعاً : المبالغة فى البحث عن حضارات ماقبل الإسلام ، والتوسع فيها والاهتمام بها ، والادعاء بأن الإسلام أخذ

منها ، ومحاولة دعوة المسلمين والعرب إلى القفز على حضارة الإسلام لإحياء حضارات ماتت ولم يعد لها تراث ولا لغة ولا وجود حقيقى .

ثامناً : دراسة الحركات المضادة للإسلام قديماً وحديثاً والتوسع فيها كالفتن الأهلية والخلافات المذهبية ، ومظاهر التفسخ والانقسام والادعاء بأنها أبرز ظواهر تاريخ الإسلام ، مع أن تاريخ الإسلام حافل بالإيجابيات ومراحل القوة والتمكن وأن هذه الصورة المشوهة قليلة جداً بالنسبة لتاريخ طويل ، وهى موجودة فى تاريخ جميع الأمم والحضارات .

وذلك بهدف توسيع شقة الخلاف بين المسلمين وغيرهم .

ولم يقتصر إفساد المراجع والمصادر على ماكتبه الاستشراق ، بل اتسع نطاق التغريب فى إحياء كتب لقيطة ، والاهتمام بها فى مجال الأدب والتاريخ .

* * *

أما دوائر المعارف التى كتبها المستشرقون فقد كان أخطرها (دائرة المعارف الإسلامية) التى ترجمت إلى العربية ، وقد وضعت بهدف أساسى ، هو أن تكون مادة فى أيدى الخبراء والمبعوثين الذين ترسلهم دوائر وزارات

الاستعمار إلى عالم الإسلام والعروبة ، ولذلك فهى تنضح بالحقد والتعصب والاضطراب ، وقد كتبها مستشرقون حملوها كل خصوماتهم وأحقادهم ، ومنذ صدرت فقد كشف علماء الإسلام عن أخطاء هذه الدائرة ، وأشاروا إلى ماتحمله من سموم فى مجالات متعددة وكشفوا عن هذه الأخطاء .

وهناك (قاموس المنجد) الذى تضمن فى قسمه الأدبى مجموعة كبيرة من الأخطاء والشبهات . ولا شك أن قاموس المنجد من أخطر القواميس التى فى كل الأيدى ، والمحملة بالأخطاء ، وخاصة فيما يحاول أن يدخله إلى الألفاظ العربية من مصطلحات كنسية وطائفية ولاهوتية ، وهى ألفاظ ليست عربية أصلا ، فضلا عن أنه يفسرها تفسيراً لا يتفق مع مفاهيم الإسلام ، ومن أخطاء (المنجد) سكوته عن بعض الحقائق كموقفه من مسيلمة الكذاب حيث يدعى أنه نبى ، ولم يذكر أن نبوءته كاذبة ، وخوضه فى مسائل حسمت بالتشكك ، مثل زواج العباسة أخت الرشيد وغيرها .

أما الموسوعة العربية الميسرة فقد ترجمت من دائرة معارف كولومبيا الحافلة بوجهة النظر اليهودية ، وهى تتنكر أساسا للعام الهجرى ، وبالمقارنة بين مادة (مسجد) ومادة (مسرح) نجد أن المسجد قد كتب عنه خمسة عشر سطراً ، فى حين كتب عن المسرح ١٧٠ سطراً . وتضم الموسوعة بعض

المواد التى اعتمد فيها على الإسرائيليات والروايات التى تضمنتها الكتب غير العلمية .

وهناك عدد كبير من الكتب الأجنبية المترجمة للغة العربية بقصد إفساد مفاهيم الإسلام فى مختلف قضايا الفكر والاجتماع والسياسة والتاريخ ، منها كتاب يقظة العرب لچورچ أنطونيوس ، وشمائل المصريين المحدثين (ادوار وليم لين) ، وقصة الحضارة (دل ديورانت) ، وتاريخ الشعوب الشرقية(بروكلمان) ، والثورة العربية (لورنس) ، والإسلام فى الغرب (جان بول رد) والرسول (بودلى) ، وتاريخ الدولة العربية (فلهوزن) ، والسيادة العربية له أيضاً ، وتاريخ الحركات الفكرية فى الإسلام (بندلى جوزىّ) .... الخ الخ .

وهذه المؤلفات وغيرها ترمى إلى إثارة الشبهات حول :

التوحيد - النبوة - الوحى - القرآن

ومحاولة الادعاء ببشرية القرآن ، ومهاجمة الإسلام كخاتم لرسالات السماء ، وقضية تعدد زوجات النبى ، وانتشار الإسلام بالسيف ، وشبهة التشابه فيما بين القرآن وبين ما فى الكتب السابقة (التوراة والإنجيل) وكلها شبهات رد عليها الباحثون .

وفى مجال إحياء التراث جرى إحياء عدد من الكتب

المضللة ، أمثال : رسائل إخوان الصفا ، ألف ليلة ، الأغانى .

فقدعمدت حركة التغريب إلى اعتبار كتاب الأغانى مرجعاً ، وكتاب ألف ليلة مصدراً : على الرغم من محاذير الاعتماد على هذا النوع من التأليف . فمؤلف الأغانى : رجل تصفه المصادر بالإسفاف والاضطراب ، وقد وصفت خلقه وصفا يرده عن أن يكون مصدراً أمينا ، أما كتاب « ألف ليلة » فهو جماع قصصى فارسى وخرافات وأساطير منذ قبل الإسلام ، وقد اختلط وأضيف إليه أقاصيص الرواة ، وهو بذلك لا يمكن أن يكون مصدراً لرسم صورة المجتمع الإسلامى على حقيقته .

ومن المصادر التى حرص النفوذ الأجنبى والتغريب على إحيائها : كتاب « الإمامة والسياسة » الذى يوصف بأنه لقيط مجهول النسب .

أما رسائل إخوان الصفا فهى تمثل الفكر الباطنى المحدسى ، الذى حمله الزنادقة الحاقدين على الإسلام واللغة العربية ، ولهم صلتهم المريبة بالحركات السرية التى كانت تعمل على تقويض المجتمع الإسلامى .

كذلك فقد حذر الباحثون من الاعتماد على كتب الأدب فى

دراسات التاريخ الإسلامى ، لما نسب إلى الأدباء من قصور فى القدرة على الاهتمام بصدق الرواية والإسناد .

* * *

ولم يتوقف تزييف المصادر عند دائرة المعارف الإسلامية ، بل امتد إلى دوائر المعارف البريطانية والفرنسية والأمريكية ، وكتاب تاريخ الحضارات العام الذى ترجم إلى اللغة العربية بهدف طرح هذه السموم التى قدمها فى عرضه لتاريخ الإسلام ومبادئه من التعصب والتحامل .

وقد ذهب مؤلفه إلى أن الألف سنة التى أشرق فيها الإسلام على العالم هى فترة القرون المظلمة فى أوروبا ، هذه الألف سنة « يقترح المؤلف حذفها من تاريخ العالم ناسياً أو متجاهلاً أنها السنوات التى قدمت إلى البشرية الضياء والنور والهدى بعد أن ساد العالم الظلام الكامل ، وأن الإسلام خلال القرون المظلمة الأوروبية كان مشرقاً على مختلف أجزاء العالم من حدود الصين إلى نهر اللوار ، حيث حطم عبودية الرومان والفرس والفراعنة ، وحطم الطواغيت .

وهنا نجد أن المنهج العلمى الغربى هو دعاوى زائفة ، وأنه حين يتصل بالإسلام يتحول إلى تعصب عنيف ، وخاصة فيما يتعلق بالدور الذى قام به حين قدم للبشرية : المنهج العلمى التجريبى .

المنهج العلمى الغربى :

ومن هنا يتبين مدى فساد المنهج العلمى الغربى وقيامه على الهوى والاستعلاء ، دون أن يقوم على الدليل والبرهان .

إن أخطر حقائق المنهج الغربى هو النظرة الجزئية الانشطارية ، وهو يقوم الآن على النظرية المادية والدوافع الاقتصادية والدوافع الجنسية وأهواء الوجودية ، وكلها تحتقر الإنسان احتقاراً شديداً ، وهناك الجبرية التى تريد أن تخلى الإنسان من المسئولية الفردية وتلقى بتلك المسئولية على المجتمعات ، وتلقى هذه النظريات على المجتمعات الغربية طوابع مختلفة : طوابع المتعة الجنسية ، وطوابع العنف والقسوة ، وطوابع الحقد والبغض ، والاهتمام بالكم ، وتضحية النوع والتكيف .

وقد ثبت أن التجربة الغربية والتجربة الشيوعية مرفوضتان فى أفق المجتمع الإسلامى ، وأن التجربتين كانتا

لمجتمع يختلف عن مجتمعنا ، وأن الماركسية ماهى إلا جزء من نظام غربى ، وأنها رد فعل لواقع الرأسمالية التى عجزت عن إقامة مجتمع سليم . ولا ريب أن الرأسمالية والماركسية كليهما من منبع واحد من حيث سيطرة مفهوم الربا ، ومن حيث التفسير المادى للتاريخ .

إن الهدف هو القضاء على وحدة الفكر الجامع التى أقامها القرآن فى الأمة الإسلامية ، وخلق الصراع الفكرى حيث نجد ذلك الغزو المتتابع الذى لا تثبت معه أى قيمة أو فكرة ، والذى تنقل الإنسان الحديث من نظرية إلى نظرية ، ومن وضع إلى وضع .

ولقد ثبت أن البضاعة الفكرية والثقافية التى قدمها الغرب بشقيه إلى الأمة الإسلامية ليست مجردة من الأهواء والتخطيط المرسوم للتغلب على خبرات البلاد التى تتوافر فيها مصادر الطاقات دون أن يقابل ذلك أى تقدم صناعى تكنولوچى ، وأنها حافلة بالقلق والتناقض فى كل مذاهبها السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

ويقوم المذهب المادى على أساس المحسوس وحده ، منكراً ما سواه من عالم الغيب (الميتافيزك) إنكاراً تاماً ، وتقوم النظرية المادية على اعتبار الكون موجودا بنفسه وقديماً وغير متناه ، وهو ما يخالف حقائق الأديان المنزلة .

والمذهب المادى ليس علماً خالصاً ولكنه فلسفة تقوم على الافتراض ، ذلك لأنها تتصل بالجانب غير المحسوس ، وهو جانب يتحاشاه العلم ، لأن أنابيقه لا تستطيع أن تضعه فى مجال التجربة ، ومن هنا فإن التعارض بين المذهب المادى والواقع ليس خلافاً بين الدين والعلم ، ولكنه خلاف بين الدين والفلسفة .

وحين تفترض الفلسفة المادية إنكار وجود الله (تبارك وتعالى) والأنبياء والبعث والجنة والنار وغيرهم ، إنما تختلف مع العلم الذى قد حدد عمله فى دائرة المحسوسات ولم يدخل فى نطاق الغيبيات .

ومن هنا فإن النظرية المادية لا تجد سنداً لها من علم أو تجربة أو برهان أو قياس ، ولكنها تجدد نظرية قديمة عرفها الإغريق القدماء .

ويقف الفكر الإسلامى من محاولة التغريب إذاعة أمثال هذه النظريات المضللة موقفاً واضحاً ، فهو يقرر أن الإنسان مركب من بدن ونفس ، وجسم وروح ، وأن البدن من عالم المادة ، لأنه يمتاز بالخصائص المعروفة للأجسام ، أما النفس والروح فإنها من عالم آخر يختلف عن خصائصه عن المادة . والإسلام فى جوهره ثنائى يقر بوجود الله ، ووجود العالم ،

ووجود الدنيا والآخرة ، والروح والجسد ، والنفس والبدن ، وهو يدعو إلى الإقبال على الدنيا وتنمية الحضارات وبناء الأعمال المادية ، ولكنه يجعل هدفها إنسانياً ولا يجعل مفهومها المادى هو كل غايتها .

* * *

كذلك فقد حرصت حركة الغزو الثقافى والتغريب على تغيير المفاهيم الأساسية ، وكان أخطر هذه المفاهيم طرح التصور الزائف بأن الإسلام دين عبادة ، شبيه باللاهوت ، بينما أن الإسلام فى حقيقته دين ونظام مجتمع .

ومن ذلك إثارة الشبهة حول (الجهاد) بمفهوم الإسلام ، والادعاء بأن الجهاد هو جهاد النفس ، وذلك اعتماداً على أثر لم يثبت عن رسول الله - ﷺ - وهو « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر : جهاد النفس) .

ومن ذلك فكرة تطور الدين . والدين الذى يتطور هو الدين البشرى الذى لا يستطيع أن يعايش البيئات والعصور ، فهو فى حاجة إلى تعديل بالحذف والإضافة ، وهذا لا ينطبق على الإسلام ، ذلك لأن الإسلام منهج ربانى متكامل جامع ، له أطره الواسعة القادرة على العطاء والحركة مع مختلف المجتمعات والعصور ، ولذلك فهو لا يحتاج إلى تطور ، وهو قادر على العطاء فى كل وقت وله قيمه الثابتة ، وقيمه المتغيرة .

كذلك فإن كلمة ريلجن » الغربية لا تمثل مفهوم الإسلام من الدين ، فالدين فى الغرب هو العلاقة اللاهوتية بين الإنسان والخالق ، أما مفهوم الإسلام فالدين علاقة كاملة جامعة بين الله تبارك وتعالى والإنسان ، وبين الإنسان والمجتمع .

وهو نظام مجتمع ، ومنهج حياة شامل ، لكل أعمال الإنسان فى حياته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وليس قاصراً على العبادات فحسب .

* * *

ومن أخطر مؤامرات التغريب والغزو الثقافى :

« ضرب الإسلام من الداخل »

وهى خطة قديمة تتجدد ، منذ كان الفكر البشرى يصارع الفكر الربانى ويثير الشبهات حوله . ثم جاء الغرب يحمل معه فكرة التغريب والغزو الثقافى حسب وصية لويس التاسع ، الذى دعا إلى العمل لمحاربة الإسلام من منطلق الكلمة . وعلى ضوء وصيته نشأت فكرة خطيرة هى « ضرب الإسلام من الداخل » ، ومن ثم كان إنشاء مؤسسات التبشير والاستشراق مقدمة لكل ما قدم للمسلمين من مذاهب هدامة ودعوات مضللة .

وكان أخطر ما واجه المجتمعات الإسلامية : نظرية « العلمانية » وهى فكرة خبيثة ، تمزق الإسلام إلى دين ، ونظام مجتمع ، وتحاول أن تقر الأول وترفض الثاني ، بينما يقوم الإسلام نفسه أساسا على أنه نظام مجتمع ومنهج حياة ، والدين - بمفهوم العقيدة - جزء منه .

ولقد عملت العلمانية على فرض القانون الوضعى فى العالم الإسلامى متصلا بنظام المصرف الغربى ، وعلى قاعدة الربا فى مجال الاقتصاد ، مع تطبيق النظام السياسى الليبرالى ، غير أن التجربة التى تمت خلال خمسين عاماً أثبتت فشل هذا النظام وفساده ثم انفتح الطريق إلى التبشير بالشيوعية عن طريق الماركسية أولاً ، وبدافع من الماسونية والعلمانية والتبشير ، فكان أن واجه العالم الإسلامى تجربة جديدة أثبت الحس الإسلامى والذاتية الإسلامية والمزاج النفسى الإسلامى رفضه الكامل لهذه الدعوة ، وسخطه الوافر على هذا النظام ، خاصة بعد أن كشف عن فساده فى بيئاته الأصلية ، وعجزه عن تحقيق الرخاء أو العدالة كما ادعى . -

أما الماسونية فهى حركة سرية خفية لا تظهر على السطح كمؤسسة ، ولكنها تؤثر فى المؤسسات الظاهرة وتحركها إلى غاياتها ، ولكن عملها أشد خطرا ، لأنه لا يمكن مواجهته مواجهة علنية صريحة ، وإنما يواجه من خلال دعوات كثيرة مبثوثة خلال المذاهب المتصلة بعلم النفس وعلم مقارنات الأديان ، وعلم اللغات ، وعلم الأخلاق ، وعلم الاجتماع ، وكلها علوم حديثة يضمها اسم (مدرسة العلوم الاجتماعية) ، ويقوم عليها دعاة يهود صهيونيون ، يتخفون تحت أرواب أساتذة الجامعات وشارات العلماء ، ولكن جوهر نظرياتهم كله مستمد أصلا من (التلمود) ومن منهج اليهود الذى صورته بروتوكولات صهيون ، والذى يستهدف أصلا تدمير المجتمعات الإسلامية بعد القضاء على مقوماتها الروحية والأخلاقية والنفسية .

* * *

الباب الثالث
المعاول لا تزال تضرب فى جدار الإسلام

الفصل الأول :
التعليم هو منطلق التغريب الأول .

الفصل الثانى :
العقيدة الإسلامية : ومحاولة تدميرها .

الفصل الثالث :
التشكيك فى الشريعة الإسلامية .

الفصل الرابع :
تزييف الثقافة الإسلامية .

الفصل الخامس :
مفاهيم النفس والأخلاق والاجتماع .

الفصل السادس :
طرح سموم الحضارة الغربية فى مجتمعنا .

الفصل السابع :
المؤامرة على الفصحى لغة القرآن .

الفصل الثامن :
محاولة تزييف تاريخ الإسلام .

الفصل التاسع :
محاولة تدمير التراث الإسلامى .

الفصل العاشر :
محاولة فرض مفهوم وثنى للفن .

مدخـــــل

نحن نعرف أن المعاول لا تزال تضرب فى جدار الإسلام منذ يومه الأول ، وأن المسلمين المؤمنين قد وطدوا العزم على مواجهة هذا الخطر على أنه خطر دائم قائم لا ينتهى ، وقد دعاهم القرآن الكريم إلى هذه التعبئة الدائمة والحذر الدائم ، وصدقت الأحداث ما دعا إليه القرآن الكريم ، حيث توالت فى التاريخ الإسلامى عمليات الغزو والعدوان والتدخل من أكثر من طريق ، وبأكثر من اسم ، وتحت عبارات غامضة ، لها طوابع تاريخية أو مستمدة من أساطير أو ادعاءات لا يقرها البحث الصحيح .

إن المعاول التى تضرب فى جدار الإسلام تحاول أن تسرب تحت الأساس شبهات وادعاءات فى مجالات مختلفة ، ولا تزال تردد بصورة أو بأخرى حتى ظن البعض أنها مسلمات وحقائق ، وتتصل هذه المحاذير والتراكمات التى تدقها المعاول باللغة العربية من ناحية ، وبالشريعة الإسلامية من ناحية أخرى ، وبالتاريخ من ناحية ثالثة ، وتتخذ من التعليم والصحافة أداتين فعالتين لتثبيت الشبهات والسيطرة العقلية .

أما فى اللغة العربية فهناك حملات للتهوين من قدرها

ومكانتها ، والدعوة إلى تغليب العاميات عليها ، والفصل بين البيان القرآنى وبين أسلوب الكتابة العربية الأصيل ، وإدخال نماذج من الأساليب الغربية ، وخلق مايسمى باللغة الوسطى ، إلى غير ذلك مما يراد به إيجاد فاصل عميق ، وحاجز ضخم ، بين البيان القرآنى الأصيل وبين لغة العصر .

أما الشريعة الإسلامية فلا تزال الحملات تنصب على قواعدها ومقاصدها ، لانتقاصها وتصويرها بصورة الجمود والتخلف ، أو إثارة الشبهات حول علاقة غير صحيحة بينها وبين القانون الرومانى .

وهناك فى مجال الثقافة محاولات متصلة للفصل بين الفكر الإسلامى فى امتداده التاريخى ، وبين ما يسمى بالثقافة العربية ، أو الفكر العربى ، أو ما يسمى بالحضارة العربية ، والادعاء بأن الحملة الفرنسية هى مبدأ تاريخ النهضة ، مع أن النهضة الإسلامية الحقيقية بدأت من صميم الإسلام ، ومن داخل الأمة الإسلامية قبل الحملة الفرنسية بأكثر من خمسين عاماً ، كذلك فهناك محاولة أخرى لتتبع الثقافة العربية (ذات الانتماء الإسلامى) إلى الفكر الغربى حاضراً ، بدعوى أن الفكر اليونانى كان له أثره فى الفكر الإسلامى قديما ، وذلك بمحاولة إعلاء الفلسفات والفكر الباطنى والمجوسى .

وفى مجال التاريخ الإسلامى تجرى المحاولات للتحريف والتهوين من شأن البطولات الإسلامية ، ومن شأن أبطال الإسلام ، وهناك المحاولات التى تثير الشبهات حول الوحى والنبوة وعالم الغيب ، وكلها شبهات باطلة ومضللة ، وأشدها خطرا محاكمة التاريخ الإسلامي إلى مناهج الغرب ، أو محاكمة العقيدة الإسلامية للفكر الوثنى ، أو فكر المسيحية واليهودية المنفصل عن رسالتى موسى وعيسى عليهما السلام .

هذه المحاولة التى قام بها التغريب والغزو الثقافى هى جزء من خطة احتواء الإسلام ، ولذلك يجب أن نقف عندها وقفات حاسمة .



الفصـــل الأول

التعليم هو منطلق التغريب الأول

اعتمد التغريب والغزو الثقافى على « التعليم » كأساس لتغيير أعراف هذه الأمة الإسلامية ووجهتها ومفاهيمها ، فأسس فى مدارس إرسالياته مناهج مسمومة مفرغة من أصول الإسلام ثم فرضها على مناهج وزارات التعليم فى العالم الإسلامى .

يقول هاملتون جب : « لقد استطاع نشاطنا التعليمى والثقافى عن طريق المدرسة العصرية والصحافة أن يترك فى المسلمين ـ ولو من غير وعى منهم ـ أثرا يجعلهم فى مظهرهم العام لا دينيين إلى حد بعيد ، ولا ريب أن ذلك خاصة هو اللب المثمر فى كل ماتركت محاولات الغرب لحمل العالم الإسلامى على حضارته من آثار » .

هذا هو التغريب وهذه هى أداته الأولى والكبرى : « التعليم » وبالرغم من أن الخطة موزعة الأطراف على

مختلف ميادين الثقافة والفكر والأدب والصحافة ، إلا أنها تحظى بتركيز شديد على « التعليم » : ذلك أن التعليم كان هو المنطلق الحقيقى لخطة الغزو الثقافى ، ومازال وسيظل إلى وقت طويل ، مالم يتدارك المسئولون المسلمون هذا الخطر ويعملوا على إيقاف السيطرة الأجنبية الواضحة الأثر على التعليم فى مختلف مجالاته ومختلف بيئاته ، ذلك أن القول اليوم بتوحيد مناهج التعليم العربية (الإسلامية) على مابها من تبعية وأخطار ومزالق وسموم لا تزال مسيطرة على جوانب كثيرة من أساليب الدراسات فى التعليم ، هو أخطر كثيراً من الأثر الذى تحقق فعلا فى الأجيال الماضية ، ذلك أن الاستعمار كان يتخذ فى كل قطر من الأقطار أسلوباً معينا فى التعليم يستهدف به :

أولاً : عزل هذا القطر عن أمته الإسلامية ، ثم عزله عن معالم الإسلام نفسه .

ثانياً : الحيلولة بينه وبين الارتباط بالجذور التاريخية والأدبية واللغوية ، بادعاء أن العصر الحديث بدأ بحملة نابليون ، وأن هذا العصر منفصل تماماً عما قبله مما أطلق

عليه كذبا (عصر الانحطاط) ، محاولة فى إيجاد شعور نفسى بالكراهية والانسلاخ عن الماضى كله .

ثالثاً : بعد عزل القطر إقليمياً ـ عن أمته الإسلامية الكبرى ـ وعن أصول فكره الإسلامى القرآنى الممتد وراء أربعة عشر قرناً ، تقوم الدعوة التغريبية إلى إحياء التاريخ الإقليمى الفرعونى والفينيقى والآشورى والبابلى وغيره ، ثم الارتباط بالغرب وحضارة الغرب وبطولاته وأمجاده ، هذا الغرب صاحب مايسمونه : الحضارة التى لا تقهر وممدن الشعوب المتأخرة .

رابعاً : إعلاء العامية على اللغة الفصحى ، والاهتمام باللهجة الإقليمية ومايتصل بها من حكايات وفلكلور وأساطير وأزجال ومواويل ، إغراقاً فى العمق الإقليمى .

خامساً : اعلاء اللغة الأجنبية (الانجليزية أو الفرنسية) على اللغة العربية ، والدعوة إلى تعلمها باعتبارها لغة الحضارة ، ثم السيطرة عن طريقها فكرياً على المثقفين الذين يعتمدون بعد ذلك على فلسفات ومفاهيم الغرب .

هذه كانت خطة التعليم العامة مع تغييرات يسيرة يختلف بها المنهج فى كل قطر تابع للنفوذ البريطانى عن الفرنسى والأمريكى والماركسى ، ولكن الهدف العام واحد ، هو إزدراء الوطن والعقيدة والأمة والفكر الإسلامى كله ، والالتفاف نحو الغرب .

ولقد حدث بعد الاستقلال وانتهاء الاحتلال تعديل يسير فى هذه المناهج ، ولكن هذا التعديل ركز على الوطنية الإقليمية وإحياء ماقبل الإسلام ، وبقى جوهر الخطة التعليمية كما هو :

فالإسلام عندهم دين عبادة لا صلة له بالمجتمع أو الدولة ، والعمل على فرض مفاهيم الايديولوچيات الغربية (الرأسمالية أو الماركسية) على بلاد الإسلام ، وتغليب مفاهيم الفلسفة المادية بما فيها من شكوك وانشطارية وإنكار للروح والوحى والدين والنبوة . والعمل على سيطرة نظريات المدرسة الاجتماعية ومفاهيم الفرويدية والتفسير المادى للتاريخ .

وتغيب عن مناهج التعليم المغربة كل نواحى العظمة والقوة فى تاريخ الإسلام وحضارة الإسلام ، فضلاً عن مفهوم

الإسلام الصحيح الجامع للعبادة والقيادة .

وكان على مناهج التعليم أن تتحرر من نفوذ التغريب فتكشف عن أن النظريات الخاصة بعلوم النفس والأخلاق والاجتماع والسياسة والاقتصاد هى وجهات نظر وفكر بشرى قابل للخطأ والصواب ، وفروض فرضها الباحثون فى بيئات معينة ، واستجابة لتحديات معينة وفى عصر معين ، ومن هنا فليست لها (أولا) صفة الحقيقة العالمية التى لا تنقض و(ثانيا) ليس لها صفة العالمية أو الإنسانية ، لأن لكل أمة قيمها وعقائدها ومفاهيمها فى مجال العلوم الإنسانية أو العلوم الاجتماعية .

فإذا نظرنا إلى ما قاله (جب) قدرنا تماما مدى الخطر الذى أحيط بالمسلمين خلال السنوات المائة الماضية ، منذ سيطرت قوى الاستعمار ومن ورائها قوى الاستشراق والتغريب والغزو الثقافى وأداتها معاهد التبشير وجامعات الإرساليات بمختلف صورها أوروبية وأمريكية كاثوليكية وبروتستانتينية ، ومن ورائها الفكر التلمودى والاستشراق اليهودى التى تستهدف غايات أخرى .

فضلا عن إصرار قوى التغريب بوجهاتها الثلاث : ماركسية وغربية وصهيونية ، على حرمان هذه الأمة من تطبيق شريعتها الإسلامية كمنهج حياة ، والحيلولة دون استمرار نظامها الاجتماعى مستمدا من قيمها ومناهج القرآن

إن الخطر الحقيقى الذى واجهته الأمة الإسلامية إنما بدأ من التعليم حين أرادت القوى الاستعمارية حجب الأزهر والزيتونة والقرويين ومعاهد الحديث فى مختلف أجزاء البلاد الإسلامية ، وإقامة نظام تعليمى على الأساس العلمانى المفرغ من الأخلاق والعقيدة ، وبذلك خلقت تلك الإزدواجية الخطيرة بين نظام تعليمى يقوم على أساس تكامل الإسلام (بين المادة والروح) وبين نظام تعليم يقوم على النظرية المادية ، ثم إعطاء الأخير فرصة السيطرة وحجب الأول عن التقدم ، إلى الحد الذى لم يعد فى الساحة مكان للفكر الإسلامى الذى أصبح حتى الآن ظلا للتعليم المدنى مع وجود الصراع والاختلاف .

بينما الأمور يمكن أن تسير سيرأ طبيعيأ بقرار واحد يحقق وحدة الأصل ، فيكون التعليم الأصلى هو الأساس ، ومنه يتفرع التعليم المتخصص ، سواء فى الدراسات الإسلامية أو العلمية أو الاجتماعية أو الاقتصادية ، المهم أن يكون مصدر التعليم وقاعدته الأساسية هى الثقافة

الإسلامية : الجامعة بين العلم والدين ، والقائمة على أساس من القرآن الكريم والسنة النبوية .

ولقد كان من أخطر مراوغات التغريب للمناهج التعليمية أن يدرس أبناء المسلمين العلوم الحديثة مجتثة عن أصلها ، فيحسون إبان دراستها أنهم عالة على فكر غيرهم ، أو أنهم يقتبسون العلم والفكر من الأمم الأخرى ، بينما كان لآبائهم دور ـ أى دور ـ فى تكوين هذا العمل وبناء هذا الصرح ، ولا ريب أن من حق شبابنا على جيلنا أن يكشف لهم هذه الحلقة المفقودة ، ليعرف أن فكره القرآنى الإسلامى كان ـ وسوف يظل ـ قادراً بالفعل على تقديم إضافات هامة وحاسمة على مدى الأزمان والأجيال .

ولقد كان من أخطر محاذير منهج التعليم الغربى أنه لا يمكن أن نتوجه إلى الإسلام توجهاً حقيقياً إلا بالتحرر منه :

أولاً : فصل التعليم عن الدين

فقد حرص هذا المنهج على فصل الدين عن المسيرة العامة للتعليم تقليداً للنمط الغربى ، بينما يرجع انفصال التعليم اللاهوتى عن التعليم العام فى الغرب إلى جذور تاريخية تتعلق بالصراع بين الكنيسة والعلماء ، وهو ما انتهى بتحرير العلوم

الطبيعية والتجريبية والاجتماعية من سيطرة الكنيسة وانزواء علوم الدين فى أركانها .

وقد اعتقد بعض المسلمين ـ أو هكذا فرض عليهم ـ أن هذا الانفصال شرط من شروط قيام الحضارة ، وأن التعليم بفروعه المتعددة ومجالاته الواسعة لا يمكن أن يكون علمانياً .

وقد كان الفكر الغربى التربوى الذى انتقل إلى أفق التعليم الإسلامى يحمل الاستعلاء بالعنصر والانبهار بالغرب ، حيث تخرجت أجيال كاملة على هذا الفكر بكل منطلقاته وفرضياته ، وكان طبيعياً فى هذا الجو أن يتكرر النموذج الغربى فى ازدواجية التعليم ، وفصل التعليم الإسلامى عن العلوم الحديثة .

ثانياً : التفرقة بين العلم التجريبى والفلسفات

من أخطر ما حاولته دعاوى التغريب اعتبار الفلسفات المادية علما ووصفها باسم العلم ، مع أن العلم فى حقيقته هو التجريب وما يخضع للمعايير العلمية الثابتة ، أما النظريات التى قدمها الفكر الغربى فى مجال العلوم الاجتماعية والنفسية والاخلاقية والتربوية من أمثال فرويد وماركس ودوركايم وجون ديوى ، فهى ليست علماً حقيقياً وإنما هى فروض علمية تقبل الخطأ والصواب ، وهى فى مجال العلوم الإنسانية لا يمكن أن

تحاكم إلى مناهج العلوم التجريبية والرياضية ، لأنها تتصل بالنفس الإنسانية التى تختلف عن المادة ، ولذلك فإن من أكبر أخطاء التغريب اعتبار هذه النظريات علوماً ، لأنها ليست ثابتة على وجه من الوجوه فهى تحتاج كل يوم إلى الإضافة والحذف ، والتعديل .

فالخطأ أن يعتبر المسلمون هذه النظريات والفرضيات علوما أو حقائق علمية .

ثالثاً : فساد الأصل التربوى الغربى .

إن نظرية التربية والتعليم صدرت عن فكر مادى وثنى غربى ، وهو يجمع بين محصلات الفكر الغربى المسيحى النزعة اليونانى الأصل ، وهى بذلك تختلف عن مفهوم التوحيد الخالص ، وتختلف عن تركيب النفس الإنسانية المسلمة ، من حيث أنها تصدر عن منطلقات مختلفة ، سواء من العقيدة أو السلوك ، ومن حيث أنها لا تعتمد على أخلاقيات الإسلام : وخاصة فيما يتعلق بالعفاف والعرض والبكارة ، مما صدر عنه مفهوم الفرويدية المنحرف ، والماركسية الزائف .

* * *

الفصــــل الثانى

تدمير العقيدة الإسلامية

حاول التغريب إفساد مفهوم الإسلام الصحيح ، من حيث إنه يقوم على التوحيد الخالص ، الذى يتميز به الإسلام عن الأديان المختلفة ، وكذلك مايتعلق بالعجز عن فهم الخلاف بين الألوهية والنبوة ، وفهم الوحى ، وعن الكتب السماوية وكلاهما من كلام الله تبارك وتعالى ، أو من كلام الرسل والحواريين كما فى المسيحية .

وقد طرحت المخططات التعريبية شبهات متعددة حول النبوة والوحى ، تحاول أن تلقى ظلال الشك والتشكيك فى القرآن الكريم والمعجزات .

وأخطر هذه الشبهات القول بأن الإسلام مشابه فى أصوله لليهودية والمسيحية ، أو القول بأن القرآن مأخوذ من التوراة والإنجيل .

وكل هذه دعاوى باطلة لم تثبت صحتها ، وهى ترمى إلى التشكيك فى أعظم قواعد البناء ، فالتوحيد هو دين الله الحق المنزل على جميع الأنبياء والرسل ، والذى بدأت به البشرية مسيرتها منذ (آدم) ، وهى الدعوة إلى الحق التى حملها جميع الأنبياء إلى أممهم ، حتى انتهت إلى صورتها النهائية

التى يمثلها الإسلام خاتم الديانات والرسالات إلى العالمين جميعاً .

ولقد كان التوحيد رسالة السماء إلى الناس كافة منذ خلق الله تبارك وتعالى الإنسان إلى اليوم ، وكان الناس على التوحيد أساسا ، ثم تحولوا تحت تأثير أخطاء وانحرافات عن التمسك بالحق ، وجرى هذا حين اتخذ الناس الصور والرموز لتذكرهم بالإله الواحد ، ثم لم يلبثوا مع الزمن أن تحولت هذه الصور إلى أصنام وأوثان ، وتحولوا هم إلى عبادة هذه الأصنام ، ومن ثم تعددت الآلهة ، فكانت الأديان فى موالاتها وتتابعها دينا بعد دين ، ترد الناس عن هذا الخطأ والانحراف . ولقد واجهت البشرية انحرافاً خطيراً فى الفترة السابقة لظهور الإسلام ، حيث ظهرت الوثنية اليونانية الفلسفية التى قامت على الإباحة والتعدد والتثليث .

ومن هنا حاولت قوى التغريب والغزو الثقافى إثارة الشكوك حول جوهر التوحيد ، الذى لا يقبل التثليث أو الصلب أو الخطيئة .

وتوسعت الشبهات إلى مجال القرآن والسنة والشريعة الإسلامية .

ونقلت دائرة الخلاف بين المسيحية والعلم فى الغرب ، إلى

أفق الفكر الإسلامى ، من حيث أن الإسلام هو الذى هيأ وجود العلم نفسه .

لقد كانت قضية الصراع بين العلم والدين غربية الأصل ، أما الإسلام فقد ربط بينه وبين العلم بروابط عميقة ، فهو الذى دعا إلى حرية البحث ، وصراحة التفكير ، والتسامح الدينى ، وتقديم البرهان ، فلم يناهض الإسلام العلم بل فى أحضانه تكامل الدين والعلم .

والعلم فى مفهوم الإسلام هو العلم المطلق ، وليس العلم الدينى وحده .

وليس فى تاريخ الإسلام أو الفكر الإسلامى ما يشير إلى أن هناك مناهضة ما بين العلم والدين وقعت ، أو أن الدين ناهض العلم .

إن علماء الغرب وجدوا فى كتبهم الدينية المقدسة ما يتعارض مع كشوفهم العلمية فخالفوها ، أما القرآن وهو كتاب الإسلام المقدس فليس فيه ما يخالف أو يختلف أو يتعارض مع أى رأى من آراء العلم والعلماء ، بل على العكس من ذلك فإن كثيراً من النظريات العلمية الحديثة لها مدلول فى القرآن .

وليس فى الإسلام مايسمى رجل الدين ، فكلمة (رجل دين) كلمة غربية وافدة ، يحاول الكتاب أن يطلقوها على العلماء المتخصصين فى دراسات العقائد والفقه والشريعة ،

والواقع أن الإسلام لا يعترف بطبقة معينة يمكن أن تسمى رجال الدين ، لها نظام خاص أو حقوق معينة ، أو نفوذ من أى نوع ، ولكن هناك علماء متخصصين فى الدراسات الإسلامية ، ورجل دين فى الغرب يوصف بأنه لا يصلح لفهم أمور المعاش بسبب انقطاعه عن صحبة الناس ، وليس الأمر كذلك فى الإسلام ، ولا يقر الإسلام « التقليد » وهو المتابعة بغير يقين عقلى أو اقتناع برهانى . ويقر الإسلام (الاجتهاد) ويعنى بذل الجهد فى استنباط الأحكام من النصوص الشرعية ، بحيث لا يتوقف الإسلام عن تقديم الرأى فى كل متغيرات البيئات والعصور ، وبحيث لا يصاب بالجمود ، ويقرر الإسلام أن باب الاجتهاد مفتوح ، لتقديم الرأى المتجدد للقضايا الجديدة ، مع حماية الأصول العامة للإسلام .

وليس صحيحاً ما يتردد حول الشريعة الإسلامية وصلتها بالقانون الرومانى مما يتهم به التغريب المسلمين ، فالشريعة الإسلامية ربانية المصدر ، تختلف اختلافاً واسعاً وعميقاً عن القوانين الوضعية ، وقد قدم الإسلام للبشرية منهجاً كاملاً من العطاء فى مجال الاجتماع والمعاملات والقضاء اعترف به أخيراً فقهاء الغرب فى عديد من مؤتمراتهم ، وتقوم الشريعة الإسلامية على التكامل بين الدين والدولة ، وبين الدنيا والآخرة ، وتجعل الإنسان مسئولاً وملتزماً بأخلاقية التعامل

والحياة ، وقد وضعت الحدود والضوابط للتعامل بين المسلمين .

ويقر الإسلام عالم الغيب الذى يشكك فيه التغريب ، ويقيم مفهومه على المحسوس ، وينكر من سواه من عوالم الملائكة والآخرة والحساب والجزاء .

ويقر الإسلام مفهوم الحرية ، وقد حرر الإسلام الإنسان من الرق ، ومن العبودية للأصنام ، ولغير الله تبارك وتعالى ، وإعطاء حرية التدين والاعتقاد ، وحرية التملك والتفكير والحكم على الأشياء .

فالحرية فى الإسلام حرية منضبطة ، وهى ضد العبودية والرق والوثنية والظلم ، وهى حرية الفرد والمجتمع جميعاً ، وليست حرية الفرد على حساب المجتمع أو المجتمع على حساب الفرد ، ولا حرية الفرد الممتاز على حساب المجتمع .

وقرر الإسلام حرية الاجتهاد ، فللمجتهد أجران أجر إذا أصاب وأجر إذا أخطأ وفى حرية التدين ﴿ **لَا إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ** ﴾ .

ويشكك التغريب والغزو الثقافى فى أعظم فرائض الإسلام : الجهاد .

والجهاد يعنى حماية الفكرة والأمة من عدوان المعتدى ، والتأهب الدائم والاستعداد المتصل لحماية النفوس

وإعدادها ، وحماية الثغور وحراستها ، وليس هو بمفهوم القتال والحرب إلا فى حالة واحدة هى العدوان .

ولكن كلمة (الجهاد) فى دراسات المستشرقين والمبشرين قد لقيت عنتا شديدا ، وأثيرت حولها الشبهات المختلفة ، وحوربت أعنف الحرب ، وكانت آيات الجهاد فى القرآن تلقى من الاستعمار والتبشير ولا تزال تلقى حربا عنيفة ، فقد كانت الدعوة إلى جهاد المستعمر عن طريق مفاهيم الإسلام من أخطر الأسلحة التى قاومت بها الأمة الإسلامية النفوذ الأجنبى ، حتى لقد حرم المحتلون الفرنسيون فى الجزائر تدريس آيات الجهاد فى القرآن أو فى أبواب الفقه ، ومن أجل التشكيك فى مفهوم الجهاد عمد التغريب إلى تأييد جماعات القاديانية والبهائية التى تحارب هذا المفهوم ، كذلك فقد عمد التغريب إلى تزييف مفهوم (عالمية الإسلام) وشكك فيها ، ودعا عن طريق النحل الوافدة إلى ما يسمى بوحدة الأديان على أساس تمييع الإسلام وإزالته .

* * *

ويرى دعاة التغريب أن إفساد مفهوم التوحيد فى الإسلام من شأنه أن يمزق وحدة المسلمين من ناحية ، والقضاء على تكامله دينا ودولة ، وإشاعة الدعوة إلى أن المسلمين يمكن أن يتخذوا من الأيديولوچيات بديلا عن هذا التكامل الذى يمثل فيه الإسلام منهج حياة ونظام مجتمع .

ولقد كان الإسلام ولا يزال قادراً على رد هذه النظريات الدخيلة ، أو الفلسفات الوافدة ، فلم يكن الإسلام فى يوم من الأيام مستسلماً للنظريات الدخيلة أو الوافدة ، وقد ظل جيلاً بعد جيل قادراً على حماية قيمه وذاتيته الخاصة فى وجه كل محاولة لتزييفه .

بل لم يتوقف الفكر الإسلامى عن معارضة كل قيمة تختلف عن مفهوم التوحيد أو منهج القرآن ، هذا مع إبقائه على طابعه ومحافظته على سمته ، وتأكيد سماحته المعهودة فى الانفتاح على مختلف الثقافات وأخذه منها وعطائه دون أن يخرجه ذلك عن مقوماته .

لقد حاولت الفلسفات المعاصرة أن تهاجم الأديان وأن تضعها فى دائرة (الغيبيات) ، وأن تثير الغبار حول الإيمان بالغيب والبعث والجزاء ، وتدعو إلى التشكيك فى كل ما يخرج عن دائرة المحسوس . إن آية الآيات فى الإسلام : الإيمان بالغيب ، واليقين بالبعث ، والجزاء ، وبالتبعية والمسئولية الفردية ، وهذه حقيقة جوهرية ، فقد كان الإيمان بالجزاء والبعث عامل قوة وإيجابية ، ودافع بناء وحركة ، وليس عامل جمود أو تخلف . وإذا لم يكن للأعمال الكبرى فى حياة الإنسانية وجهة ربانية تعطى ثمرتها فى الدنيا وتعطى جزاءها فى الآخرة ، فإن رسالة الإنسان فى الحياة تكون عبثا ، ويكون

وجوده اعتباطاً ، ولا يمكن أن تكون الحياة بغير غاية ، أو يكون الإنسان بغير رسالة ، ليست الحياة عبثا ، وليست النفس الإنسانية فيها ضياعا ، ولكنها رسالة ومسئولية وهى حقيقة وتبعة ، ثم هى بعد ذلك بعث وجزاء .

إن دعاة المذاهب الفلسفية التغريبية يحاولون من أجل تحقيق أهداف الغزو الثقافى والاستعمار العالمى أن يحجبوا هذا المعنى ، ويفسدوا الفطرة الإنسانية بالحديث عن نهاية الحياة بالموت ، وذلك حتى يفسحوا المجال أمام الناس للركض من أجل الملذات ، وانتهابها قبل أن تأكلهم الحروب والقنابل الذرية .

ومن هنا فتحوا أمام المسلم باب القلق والضياع والرفض ، وغيرها من متطلعات لا يعرفها الإسلام ، ولا شك أن التدين طبيعة عميقة فى الكيان الإنسانى والفطرة البشرية ، وهى أصدق الطرق إلى بناء الفرد وبناء المجتمع وبناء الإنسانية المتحررة من الخوف والشك والانحلال .

ولا شك أن تصور البعث ليس مستحيلاً ، بل القول باستحالته هو الذى يوجب تناقضاً عقلياً ، لأن البعث هو خلق جديد ، والذى يخلق أول مرة قادر على إعادة خلقه ، بل هو أهون عليه .

﴿ وَهَوَ الَّذِى يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾

أما المعجزات والقول بأنها خرق لنواميس الكون ، فالأمر فيها جد يسير فالله تبارك وتعالى هو خالق الكون وخالق النواميس ، والذى خلق النواميس قادر على خرقها بل هو قادر على إزالتها جملة .

وما يوجه إلى الإسلام من شبهات حول القضاء والقدر إنما هو محاولة لانتقاص الإسلام فى أمر من أروع مفاهيمه وأعظمها قدراً ، فإن الإيمان بالقضاء إنما هو قوة دافعة بناءة .

ولقد كان الإيمان بالقضاء والقدر أعظم حافز للمسلمين فى صدر الإسلام على أن يجتازوا مشارق الأرض ومغاربها إلى العالم أجمع ، مسترخصين أنفسهم فى سبيل الله ، وما ساء فهم الناس لفكرة القضاء والقدر فأصبحت فكرة جامدة إلا حين فسد فهم القيم الإسلامية وأضحت معانيه تفسر تفسيراً مشوهاً .

والمؤمن بالقضاء شجاع لأنه يعلم أنه لن يصيبه إلا ما سبق فى علم الله من موت أو حياة ، والمؤمن بالقضاء أبىّ عزيز النفس لا يذل لأحد .

والإيمان بالقضاء يحفظنا من رذيلة الحقد والحسد والسخط .

إن أبرز مايرمى الغزو الفكرى والتغريب إلى إقراره بالباطل هو : الفصل بين العناصر والوحدات ، فإن الفكر الإسلامى لا يقر هذا الفصل ويرى فيه تدميراً للشخصية الإنسانية والمجتمع نفسه ، ويرى فيه قصوراً فى النظرة بإعلاء عنصر على عنصر فالإسلام لا يرى مايراه الفكر الغربى من استعلاء عناصر المادة والعلم والعقل والمحسوس على العناصر الأخرى ، ويرى أن الروح والمادة يتكاملان ، والقلب والعقل هما بمثابة عينين فى وجه واحد ، والدنيا والآخرة متصلان صلة جذرية ، فالحياة كلها تدور حول رسالة وتتصل بإنسان له مسئوليته الفردية إزاء عمله وجزائه على هذا العمل .

وفى ضوء هذا فإنه ليس هناك فكر دينى أو لغة دينية على النحو الذى يفهمه الغربى الذى يفصل بين المفاهيم . وكذلك يختلف الإسلام عن الفكر الغربى فى أمور كثيرة : فى الثوابت والمتغيرات ، ومفهوم التطور ، ونسبية الأخلاق .

هل الإسلام دين لاهوتى ؟

تقول شبهات التغريب : إن الإسلام يستطيع أن يعطى الإنسان حاجته الروحية فحسب ، وهذا قول باطل ظاهر البطلان .

فحيث أن الغرب ينصهر فى الفكر المادى الصرف الذى يقوم

على أساس الدارونية والعلم التجريبى والتفسير المادى للتاريخ ، ونظرية فرويد فى مادية الأخلاق ، وإعلاء جانب الغريزة فى الإنسان ، بالإضافة إلى نظرية الذرائع التى تعلى من شأن المصلحة فى مقابل كل عمل .

وفى الشرق نجد الفكر الروحى هو السائد حيث البوذية والكنفوشيسية ، ونظريات البرهمية التى تعلى شأن الروحية والفناء الصوفى والنّرفانا .

أما الفكر الإسلامى فإنما يقوم على ازدواج الروح والمادة ازدواجاً متفاعلاً مسبوكاً ، فيه الدنيا مع الآخرة ، والعقل مع القلب ، قوامه التوحيد ، وسيادة الإنسان للكون تحت حكم الله ، مع الإيجابية والتفتح والعصرية والتقدمية بشروط الإسلام ، وليس بشروط العلمانية .

الفصـــل الثالث
التشكيك فى الشريعة الإسلامية

كان هدف التغريب الأساسى هو حجب الشريعة الإسلامية ، وإحلال القانون الوضعى بديلا عنها فى البلاد الإسلامية التى وقعت تحت سيطرته ونفوذه السياسى ، وقد أحيط هذا العمل بدعوى عريضة مضللة ، تحاول أن تصور الشريعة الإسلامية بأنها شريعة صحراوية ، وأنها لا تصلح للعصر الحديث ، وأنها عاجزة عن الاستجابة لمتغيرات العصر .

وكل هذه دعاوى باطلة ثبت زيفها ، إذ قرر علماء القانون فى عديد من مؤتمراتهم العالمية صلاحيتها واستقلاليتها وقدرتها على العطاء ، ليس فى مجال المجتمع الإسلامى وحده ، ولكن فى المجتمع العالمى كله .

ومنذ حجبت الشريعة الإسلامية عن التطبيق منذ مائة عام ، وحل محلها قانون نابليون ، والنفوذ الأجنبى يحرص على ألا تعود إلى مكانها الصحيح ، لأنها تحول دون سطوته فى استلاب الثروات وانتزاع خيرات البلاد .

وقد عمد التغريب إلى إثارة الشبهات حول الشريعة الإسلامية وإعلاء الأنظمة الغربية ، وكان لورد كرومر فى

مقدمة من حمل على الشريعة الإسلامية فى مصر منذ عام ١٨٩٢ ، وقد أورد هذه المعانى فى كتابه « مصر الحديثة » الذى صدر عام ١٩٠٧ ، وهاجمه كثير من أساطين الفكر الإسلامى ، وكشفوا وجه الحقيقة فى أمر الشريعة الإسلامية (عالميتها وإنسانيتها) ، ولم يمض على ذلك أكثر من ثلاثين عاماً حتى اعترف أساطين القانون فى العالم أجمع بإيجابية الشريعة الإسلامية واستقلاليتها وأصالتها ، وقدرتها على أن تقدم للعالم كله وللإنسانية جميعاً أصلح نظام ، وذلك فى مؤتمر القانون الدولى فى لاهاى سنة ١٩٣٧ ، الذى قرر أن الشريعة الإسلامية نظام قانونى مستقل غير مأخوذ من التشريع الرومانى ، وعلى أساس ذلك تقرر تمثيل الشريعة الإسلامية فى محكمة العدل الدولية كنظام مستقل من النظم العالمية الكبرى ، وفى خلال هذه الفترة هوجمت الشريعة الإسلامية ، ومن بعد هذا المؤتمر أيضاً وإلى اليوم .

حيث عمدوا إلى فصل الإسلام عن أنظمة الحكم ، وفصل المجتمع عن الشريعة فى حياة المسلمين ، ومن هنا انطلقت دعوات مسمومة للفصل بين الدين والسياسة ، ومحاولة الادعاء بأن الإسلام دين عقدى لا صلة له بالمجتمع والحياة جريا وراء المفاهيم الغربية التى رددت ذلك فى أوروبا بالنسبة للمسيحية التى ليست لها شريعة مستقلة ، وكانت هذه الدعوات والمحاولات ترمى فى الأغلب إلى تصوير الإسلام

بصورة مختلفة عن حقيقته وجوهره ، باعتباره الدين الوحيد الذى قصد إلى بناء مجتمع وفق نظام كامل ، وليس قاصراً على العبادات وحدها ، ولا على الأحوال الشخصية من زواج وطلاق وإرث ، وإنما يشمل مختلف جوانب المعاملات فى المجتمع : سياسية واقتصادية وتربوية وأخلاقية .

ولقد واجه المفكرون المسلمون هذه القضية باهتمام كبير ، وأصدر (على أبو الفتوح) أول كتاب عن الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية عام ١٩٠٥ ، كما أجرى كثير من الباحثين بعد ذلك مقارنات حول ما أثير من شبهات عن صلة بين الشريعة الإسلامية والقانون الرومانى . وأشارت مجلة المنار إلى واقعة دخول القانون الفرنسى على البلاد المصرية فى أواخر عصر إسماعيل وقالت : « انه لما أريد تنظيم القضاء لم يتمكن العلماء المصريون من الكشف عن جوهر الشريعة الإسلامية ، واضطروا تحت ضغط النفوذ الأجنبى إلى ترجمة قانون نابليون » وقد واجه الفكر الإسلامى منذ يقظته كل ما أثير ضد الشريعة الإسلامية ، وما يوجد من أوجه نقص فى القانون الأوروبى فيما يتعلق بالزنا والربا والخمر والميسر ، ومسائل زواج المسلمة بغير المسلم ومسألة الميراث وإباحة البغاء ، وظهر علماء من رجال القانون ممن درسوا القوانين الأوروبية والشريعة الإسلامية ، وكشفوا عن الفوارق والميزات بين

الشريعة والقانون ، وأشار كثيرون إلى ماجرت عليه تركيا فى عصر كمال أتاتورك من تبنى القانون المدنى السويسرى ، وأبانوا عن أن هذا القانون ليس مستحدثاً ، وإنما هو مزيج من القانون الرومانى القديم والروح المسيحية ، وأنه وضع تصميماً خاصاً بعادات وتقاليد أمة من الأمم ، وكيف أن ذلك يكشف عن مخالفته لدين وتقاليد وعادات تركيا المسلمة .

وفى عام ١٩٥١ عقدت شعبة الحقوق الشرقية فى المجتمع الدولى للقانون المقارن مؤتمراً للبحث فى الفقه الإسلامى فى كلية الحقوق بجامعة باريس تحت اسم (أسبوع الفقه الإسلامى) ، ودعت عدداً كبيراً من المستشرقين وأساتذة القانون فى الدول العربية لبحث كثير من النظريات ، وأبدى نقيب المحامين فى باريس عجبه حين قال :

« لست أدرى كيف أوفق بين ما كان يحكى لنا عن جمود الفقه الإسلامى وعدم صلاحيته أساساً تشريعياً يفى بحاجات المجتمع العصرى المتطور ، وبين ما نسمع الآن ، فقد ثبت بجلاء أن الفقه الإسلامى يقوم على مبادىء ذات قيمة أكيدة لا مرية فى نفعها ، وأن اختلاف المذاهب القومية الفقهية وحصولها على مجموعة من الأصول الفنية البديعة أتاح لهذا الفقه أن يستجيب بمرونته لجميع مطالب الحياة الحديثة » .

وقد عرض الكثيرون إلى الفروق والمخالفات والميزات التى تختلف بها الشريعة الإسلامية عن القانون الرومانى ، وأهمها أن الشريعة لم تفرق بين الروح والجسد ولم تهمل واحداً منهما ، وأن الإنسان مركب منهما جميعاً ، وأن المسلمين قسموا الفقه على أساس العبادات والمعاملات والعقوبات ، بينما قسم القانون الرومانى على أساس الأشخاص والأشياء والخصومات .

وأن أساس القانون الإسلامى مستمد من كلام الله المنزل بالوحى ، أما أساس القانون المدنى فمستمد من مشيئة الإنسان ، وأن خلاصة القانون الإسلامى (**لا إله إلا الله ، محمد رسول الله**) بينما بنى الرومان أحكامهم إما على أوامر رئيس الحكومة ، أو العرف ، أو العادة .

وقد أهملت كتب الفقه الرومانى المسائل العمومية كالأمور الدستورية وأحكام القانون الدولية ، وجعلتهما من أمور السياسة ، بينما الحكم عند الفقهاء المسلمين حسب النية من حيث العمد أو الخطأ ، ولا توجد هذه عند الرومانيين ، وكذلك الدية والقصاص عند المسلمين ، وكذلك الحدود التى تتعلق بالقتل والسرقة والزنا والقذف وشرب الخمر والارتداد ، بينما الزنا والقذف وشرب الخمر ليست محرمة عند الرومانيين ، ومن ثم فلا عقاب عليها .

* * *

ويردد التغريب شبهات حول ما يسمى بالحكومة الثيوقراطية فى الإسلام ، (وهى حكومة رجال الدين) وهى حكومة لم يعرفها الإسلام فى تاريخه الطويل ، هذا فضلا عن أن الدولة فى المفهوم الإسلامى تجعل المواطنين جميعاً أمام القانون سواء ، فى الحقوق والواجبات ، ولكل مواطن الحق فى الارتقاء إلى أعلى المناصب . وحرية العبادة فى الدولة الإسلامية مكفولة لجميع المواطنين ، وليس فى الدستور الإسلامى تمييز للمسلمين دون غيرهم .

ومفهوم الدولة الثيوقراطية (أى الدولة الدينية) لا يقوم فى العالم الإسلامى قط ، حيث لا يقر الإسلام ما يسمى رجال الدين ، أما علماء الدين فلهم حق المشورة ولا يتولون المناصب ، ولا توجد فى الإسلام سلطة الكهانة ، ولم يعرف الإسلام يوماً ذلك النمط الذى عرفته أوروبا ، وليس فى التوحيد بين السلطتين الدينية والدنيوية فى الإسلام مايؤدى إلى شىء من التضارب ، فليس الإسلام حقائق روحية خالصة ، ولكنه حقائق روحية ونفسية واجتماعية متكاملة .

* * *

ويختلف مفهوم الدين فى الإسلام عن مفهومه فى اليهودية والمسيحية ، وقد أدرك هذه الحقيقة بعض المستشرقين الذين

كتبوا فى فلسفة الأديان ، يقول هاملتون جب : الشريعة الإسلامية من الناحية النظرية تتناول كل شيء ، فلم تكن كالقانون الكنسى فى المسيحية ، مجرد قانون دينى يقوم إلى جانبه مستقلا عنه قانون مدنى لتنظيم بعض الشئون الدنيوية ، عندئذ صار واضحاً أن الإسلام لم يكن مجرد عقائد دينية فردية ، وإنما استوجب إقامة مجتمع مستقل له أسلوبه فى الحكم ، وله قوانينه ، وله أنظمته الخاصة ، ويقول « أرنولد توينبى »

فى الإسلام يتحد العنصران (الدين والدولة) فى كيان وحدة عضوية .

ولقد كانت رابطة الوحدة الإسلامية الجامعة أقوى الروابط التى عرفها التاريخ ، وهى لا تزال أملا قويا تتطلع إليه قلوبهم ، بهدف جمع شتات العالم الإسلامى ، ليقف سداً منيعاً فى وجوه الغزاة .

وحين قامت هذه الرابطة تحت اسم الخلافة الإسلامية ، كانت رابطة متماسكة ألفت بين قلوب المسلمين ، ووحدت أهدافهم ، وصنعت منهم (أمة الإسلام) ، وامتدت أكثر من ألف وثلاثمائة وخمسين عاماً . وقال الدكتور ولفرد كانتول سميت : إن مركز هذه القوة الموحدة هو الدستور الدينى الذى نظم ضمن تياره القوى المحكم كل شيء من شعائر الصلاة إلى

حقوق الملكية ، وقد منح هذا الدستور الوحدة للمجتمع الإسلامى من قرطبة إلى الملتان .

وقال آدم متز : إن المسلم يستطيع أن يرتحل فى داخل هذه المملكة فى ظل دينه وتحت رايته ، وفيها يجد ناسا يعبدون الإله الواحد الذى يعبده ويصلون نفس الصلاة ، وهكذا نجد شريعة واحدة ، وعرفا واحدا ، وعادات واحدة ، وكان يوجد فى هذه المملكة الإسلامية قانون واحد يضمن للمسلم حق المواطن بحيث يكون آمنا على حريته الشخصية أن يمسها أحد » .

نعم إن هذه الوحدة الإسلامية قائمة فى قلوب المسلمين ، جذوتها حية لم تخمد أبدا ، ومن هنا كانت هدفا استعماريا عمد التغريب والغزو الثقافى إلى النيل منها بإشاعة روح الإقليميات والقوميات .

ومن أجل تفكيك الوحدة الإسلامية عملت قوى التغريب على إنهاء الخلافة ولو إلى حين ، ولقد كانت مؤامرة القول بأن الإسلام دين عبادة ، وأن الخلافة ليست من فرائضه تلك التى حاولها التغريب متخفياً وراء عمامة الشيخ على عبد الرازق محاولة فاشلة ، فقد اعتمد الشيخ على عبد الرازق على نصوص قدمها له مستشرق يهودى هو مرجليوث ، ولم

يصدقه أحد فى دعواه بأن الإسلام ليس دين دولة وسياسة ، ولقد أعلن بأن ماقدمه الشيخ على عبد الرازق هدم لكثير من مقومات الإسلام والمجتمع الإسلامى ، وأنها دعوة ما كان يمكن أن يقول بها مسلم فضلا عن عالم من خريجى الأزهر ، وقاض يحكم بهذا الشرع .

* * *

كذلك فقد كشفت الأبحاث التى قام بها علماء مسلمون أن نظريات قانونية متعددة ادعى الغرب أنها من نتاج فكرهم ، ثم تبين أنها مأخوذة من الفقه الإسلامى ، منها نظرية (تحريم دخول المسكن) الذى قال مسيو فرنان داجين : (إن الاعتقاد كان سائداً بأنها من معطيات القانون الغربى حتى كشف عمر لطفى فى دراسة قدمها لجامعة باريس أنها جاءت فى القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً) .

كذلك فإن نظرية التعسف فى استعمال القوانين التى كان يفخر بها الألمان قد ثبت أنها مأخوذة من منهج الإمام الشاطبى الذى أثبت بعد تحليل وتفصيل دقيقين أنه يجب منع الفعل المأذون به شرعا إذا لم يقصد به فاعله إلا الإضرار بالغير (أطروحة الدكتور محمد فتحى) .

كذلك فقد أعلن أن نظرية الظروف الطارئة ، ونظرية تحمل

التبعية ، ومسئولية عدم التحيز ، وكلها نظريات قانونية حديثة ، لها أساس كبير من الشريعة الإسلامية .

* * *

ومن أخطر الشبهات التى أثارها التغريب الادعاء بأن الشورى الإسلامية هى الديمقراطية ، وأن العدل الاجتماعى هو الاشتراكية ، وهى مقولة ظاهرة البطلان ، فالإسلام منهج ربانى وليس نظاماً بشرياً ، ولذلك فإن مقارنته بالأيديولوچيات فيه مغالطة كبيرة ، فضلا عن أن الاشتراكية والديمقراطية والليبرالية وغيرها ، هى مصطلحات غربية من واقع الظروف السياسية ، وهى لا تنطبق على الفكر الإسلامى ولا تصلح له .

« إن الغربى عندما يستعمل هذه الألفاظ يكون فى ذهنه أحداث تاريخ الغرب التى صنعها فى الماضى والحاضر ، والتى أدت إلى هذه المصطلحات ، ومن هنا فإن هذه المصطلحات جزء لا يتجزأ من تاريخ واضعيها وماضيهم وحاضرهم » .

ولقد نقلنا هذه المصطلحات تحت تأثير التبعية وتقليد الغالب ، وهى لا تصلح كحقائق مطلقة تحمل معان ثابتة لا تتغير ولا تتبدل ، وأنها لا تصلح لنا لأنها جزء من تراث أمة ، ولا تصلح لأن يعبر بها عن الإسلام .

فلفظ الديمقراطية يستعمل فى الغرب وكأنه الحل الوحيد

والأمثل ، بالمعنى الذى أضفته عليه (الثورة الفرنسية) .

فمحاولة وصف الإسلام بها أمر فيه خلط وإيهام وشذوذ ـ كما يقول الدكتور محمد سمارة ـ لأن هذا العمل كمن يركب شجرتين من فصيلتين مختلفتين ، أما الإسلام فله تصوره المستقل الواضح عن الكون والإنسان والحياة ، وعن الدولة ونظامها ، وعن تحقيق العدل والمساواة لمواطنى دول الإسلام . فالإسلام نظام يختلف كل الاختلاف عن الديمقراطية الغربية ، ذلك أن نظرة الإسلام هى أن الإسلام هو الذى شرع الأحكام وليس الناس أو السلطان وهو الذى أجبرهم وأجبر السلطان على اتباعها فى علاقتهم ، وحصرهم بها ، ومنعهم من اتباع غيرها ، وأن مهمة استنباط الأحكام من مصادرها الأساسية لمعالجة ما يستجد من أحداث هى لفقهاء الإسلام ، وأن مجلس الشورى فى الإسلام هو لأخذ الرأى والاستشارة فى الأمور العامة فى الدولة ، على المستوى الداخلى والخارجى ، وليس لسن القوانين .

ومن هنا يجب أن يكون واضحاً أن الإسلام نظام متميز ، يختلف فى جوهره عن الأنظمة الغربية ، ولا يمكن فهمه إلا فى حدوده وأحكامه ومصطلحاته .

ويرى الباحثون : أن الشورى أهم وأوسع من أن تكون

نظاماً للحكم ، بل هى فريضة اجتماعية قبل أن تكون صورة لنظام سياسى ، ومن هنا فإن محاولة التغريب والغزو الثقافى فرض هذه المصطلحات على الإسلام والمسلمين مرفوض تماماً ، وهذا التمثيل بالتقارب بين الديمقراطية الغربية والشورى الإسلامية باطل ، فإن تطبيق الشريعة الإسلامية يتطلب إعادة النظر فى كل الهياكل القائمة على الديمقراطية الغربية والتصرف فيها ، لأنه لا حاجة إليها أساسا ، وليس أعجب من أنه فى الوقت الذى ينادى فيه الغرب بفساد النظام الديمقراطى ، يطلب إلى المسلمين أن يجعلوه أساساً للحديث عن نظام إسلامى جيد .

والأمر كذلك فى أمر العدل الاجتماعى ، إذ يختلف مفهوم الإسلام عن مفهوم الاشتراكية القائم على المادية وصراع الطبقات .

* * *

الفصـــل الرابع
تزييف الثقافة الإسلامية

وجهت قوى التغريب والغزو الثقافي مدفعيتها الثقيلة إلى الثقافة الإسلامية ، لإخراجها من مفهومها الإسلامى ، إلى مفهوم الغرب القائم على الوثنيات اليونانية ، والفكر المسيحى الغربى ، والعلمانية ، والانشطارية ، وإعلاء مفاهيم الماسونية التى ترمى إلى تدمير الأخلاق وإخراج العقيدة والدين من منظومة الحياة ، بينما تقوم الثقافة الإسلامية على التوحيد الخالص ، والعدل ، والرحمة ، والإخاء الإنسانى ، وإسلام الوجه لله ، وتكامل القيم .

وهى تختلف عن العلم ، وعن المعرفة .

فالعلم عالمى بطبيعته ، يلتقى مع كل مجتمع .

أما المعرفة فهى المعلومات العامة المنوعة ، المتعارف عليها فى كل الثقافات .

أما الثقافة فليست معارف فقط ، ولكنها موقف واتجاه وعواطف ، وعادات تقوم على العقيدة والقيم .

فالدعوة التى يدعو بها التغريبيون بأن تتنقل الثقافات بين الأمم ، دعوة باطلة ، فلكل أمة ثقافتها ، التى تتميز بها ، ولا يمكن الخلط بين الثقافات ، وإنما تنتقل الأمم العلوم

والمعارف ، ولكل أمة ذاتيتها الخاصة التى شكلها لها دينها وقيمها وأعرافها .

ومن هنا يخطىء التغريب حين يدعو إلى أن تقبل الأمم الحضارة والثقافة معا ، هى دعوة مضللة هدامة ، يقف وراءها الاستعمار والتغريب والتبشير ، تستهدف تحطيم معنويات الأمم وتدمير مقوماتها ، والقضاء على شخصيتها ، وهدم ذاتيتها وإسلامها ، فهى تدعوها إلى أن تذوب فى بوتقة الأممية والعالمية ، فتفتقد وجودها ، وتصبح غير قادرة على مقاومة الغزو الاستعمارى .

ومن هنا فإن الاقتباس بين الثقافات والأمم يجب أن يتم على نحو يقظ رشيد ، بحيث يصبح ما يقتبس مادة خام تنصهر فى الثقافة الإسلامية ولا تستطيع أن تؤثر فى شكلها أو وجودها ، وإذا كان العالم الإسلامى يتعرض للاقتباس تحت ضغط النفوذ الأجنبى ، فإنه يجب أن يكون حذراً من أن يحتوى أو ينصهر فى ثقافة الغالب ، أو بوتقة الثقافة العالمية والأممية التى تستهدف تحويل المسلمين عن قيمهم وإخراجهم من مقوماتها .

وأهم شروط الاقتباس نقل الإيجابى الصالح النافع ، وخاصة العلم والتكنولوچيا ، مع التحفظ الشديد فى نقل الثقافة والأدب ، إيماناً بأن العلم ليس ملكا للغرب ولا للشرق ،

أما الثقافة فهى ملك خاص لكل أمة ، ولكل أمة قيمها الاجتماعية والأخلاقية ، وهما من أهم المجالات التى تبرز فيها طبائع الأمم ، فلكل تربة لها مقوماتها التى لا تقبل كل بذر يلقى إليها .

* * *

لقد كان ما طرحه التغريب فى أفق الفكر الإسلامى خطيرا وبالغ الخطورة .

وجاءت نظرية دارون لتفتح باب الفلسفة المادية على مصراعيه ، وجاء دعاة التغريب والغزو الثقافى ، ليجعلوا من هذه النظرية المادية التى لم تستكمل ، وسيلة لهدم النفس البشرية بدعوى « حيوانية » الإنسان ، وقد عاشت نظرية دارون أكثر من مائة سنة قبل أن يتضح بطلانها ، وجاءت الحفريات لتكشف زيف الدعوى التى ادعاها دارون ، ولكن لم تستطع أن تزيل آثار الفلسفة المادية فى الفكر البشرى .

ولا ريب أن نظرية دارون هى مجرد افتراض وصل إليه دارون ، استناداً على جزئيات مختلفة شاهدها ، وإن لم يكن قد استوعب إلا ماسمحت به الظروف فى عصره ، وسقطت الحلقة الأساسية التى قامت عليها دعوى أن الإنسان والحيوان من أصل واحد ، وجاءت الحفريات المتوالية مكذبة لدعواه ، ومؤكدة أن الإنسان خلق مستقلاً تماماً عن عالم

الحيوان منذ اليوم الأول ، ولكن الخلفيات التى كانت وراء نظرية داروين من القول بالتطور الشامل الذى امتد من مجال الچيولوچيا إلى مجال الإنسانيات والأخلاق ، جاءت وسيلة استغلها التغريب لتحطيم الأمم النامية والضعيفة والقضاء عليها ، جريا وراء شريعة الغاب التى قامت عليها الحضارة الغربية .

وتوالت محاولات التشكيك فى القيم التى جاء بها الإسلام ، فكانت النظرية الماركسية التى تدَّعى أن الإنسان عبد لمعدته ، وخاضع لغريزة الطعام ، وجاءت الفرويدية لتقول إن الإنسان خاضع للجنس .

وكان المنهج العلمى الغربى الذى جرى الادعاء بأنه فوق الشبهات ، ليسقط فى حمأة الهوى والتعصب ، عندما يتصل الأمر بالإسلام وعالمه وتاريخه ورسوله .

وحاولت الثقافة الغربية إدخال مزيد من السموم إلى أفق الإسلام عن طريق :

التفسير المادى للتاريخ ، ونسبية الأخلاق ، والدعوة إلى التطور الدائم والحركة المتصلة وإنكار ثبات القيم . وادعاء أن الأخلاق متغيرة لاختلاطها فى الغرب مع التقاليد .

واتسعت محاولات التغريب فى مجال اللغة والأدب والتاريخ

والحضارة على نحو خطير ، وكل هذه المحاولات ترمى إلى احتواء الفكر الإسلامى وصهره فى أتون الحضارة العالمية والفكرة الأممية ، ليفقد ذاتيته وتميزه الخاص ، وجاءت أعاصير رياح السموم تحمل مناهج المادية والجدلية والوجودية والفرودية ، ومذهب المنفعة والجدلية المنطقية ، وكلها مذاهب غربية ، ظهرت بعد أن خاصم الفكر الغربى المسيحية لعجزها عن استيعاب نظريات العلم .

وكانت أخطر هذه القضايا تجاهل الفوارق الدقيقة بين العلم والفلسفة .

لقد صنع المسلمون قاعدة العلم الأولى وهى التجريب ولم تكن موجودة قبل الإسلام ، وقدم الإسلام منهج المعرفة ذى الجناحين (الروح والمادة) وقدم قوانين قيام الحضارات والأمم وسقوطها .

وقدم الإسلام علم التاريخ وعلم الاجتماع .

ثم حول الغرب ذلك كله إلى بوتقة المادية الوثنية التى أقامها الفكر اليونانى ، ثم أعاد هذه العلوم مرة أخرى إلى المسلمين فى ثوبها الزائف تحت لواء التغريب ليخدعهم ويسيطر عليهم ، ويحول دون ذاتيتهم الخاصة فى فهم الفرق

بين العلوم والمعارف من ناحية ، وبين الثقافة من ناحية أخرى .

وحاول التغريب أن يفرض علينا مقولة إن الثقافة والحضارة مرتبطتان ، بينما الثقافة خاصة بكل أمة ، وبينما الحضارة (بمعناها الغربى) علوم وتكنولوچيا وصناعات ومخترعات ليس لها طابع خاص ، ولكن يمكن استعمالها لخدمة أية ثقافة تقدم من خلالها .

وقد ظهرت نظرية العلمانية فى الغرب فى مواجهة الدين بمفهومه المسيحى الغربى وما أدخل عليه ، ووقوفه فى وجه العلم ، ومن هنا فهى قضية غير مطروحة ولا واردة فى أفق الفكر الإسلامى الجامع للعطاء الروحى والعطاء المادى على السواء .

ومصطلح العلمانية : مصطلح ماكر خبيث ، أريد به تخفيف وقع كلمة (لادينية) على الأسماع برده إلى الاشتقاق من العلم أو العالم وتعنى الفصل بين الدنيا والدين ، وقد ذاعت هذه الكلمة فى مرحلة الخصومة بين أوروبا والعلم ، ولم يكن فى الإسلام هيئة تقوم مقام الكنيسة ، وليس فى علماء المسلمين من هم رجال دين ، وليس فى الإسلام كهنوتية أو حكومة ثيوقراطية ، فإن اقتحام هذا المصطلح على الفكر

الإسلامى يعنى خلق تصور للإسلام وكأنه دين عبادى ، وقد انتزع منه عنصره الخاص بالعلاقة بين الإنسان والمجتمع وهو الذى قام عليه النظام السياسى والاجتماعى والاقتصادى فى الإسلام .

والإسلام دين ودولة ، وحضارة وثقافة ، فلا يمكن فصله عن الدولة من حيث أنه يعطيها المبادىء الإنسانية العامة ، أما المسيحية ذاتها فإنها كدين عبادى لا خلاف بينها ولا تعارض مع العلمانية ، أما الإسلام فإنه يتعارض كليا وجذريا مع هذا المفهوم الدخيل ، ولذلك فإن الدعوة إلى العلمانية تعنى تعطيل الإسلام عن التطبيق ، وتجميد جوانبه فى المعاملات ، وإقصائه عن تأثيره فى حياة المسلم ، وهذه هى مؤامرة التغريب الأساسية .

كذلك فإن مصطلح العقلانية التى حاول التغريب طرحه فى أفق الفكر الإسلامى يحتاج إلى إيضاح ، وقد نشأ مصطلح العقلانية فى الغرب كرد فعل على الطابع الروحى والكهنوتى الذى وقف أمام العلم ، ومن هنا ركزت على العقلانية وتجاهلت الروحية ، فنشأ مذهب انشطارى مغال لا يعرفه الإسلام الذى لا يعلى من شأن الروحية أو العقلانية على السواء ، ويجعل منهما منهجا جامعا متكاملا ، فالإسلام لا يقر

العقلانية المجردة ، ولكنه يجمع معها الجانب الآخر القائم على مفاهيم الروح والقلب والغيب والوحى ، وهى التى يسقطها الفكر الغربى العقلانى ، وبالرغم من دعوة الغرب إلى العقلانية فإن العقل الغربى عقل قاصر ، لأنه لا يستطيع أن يؤمن بالتكامل بين العناصر والقيم التى تشكل الإنسان نفسه ، ولكن هذه الدعوة إلى العقلانية التى دعا إليها التغريب لم تجد استجابة من الإسلام الذى يؤمن بالتكامل وينكر الانشطارية وجزئية النظرة ، وتقرر أن العقل وحده لا يستطيع أن يستبين النافع والضار من الأعمال والأقوال والأخلاق والعقائد إلا بهدى من الوحى ، والعقل خادم للحقيقة التى يقدمها الوحى ، ولا يمكن للعقل بدون توجيه صادق أن يصل إلى الحقيقة ، فإذا وضع بين مقولات مضللة كالنقد البشرى فإنه يعجز عن أن يصل إلى الحق ، فقد تبين أن عقل الإنسان غير كاف فى الوصول إلى فهم علاقته بالله تبارك وتعالى ، ومهمته فى الحياة ومسئوليته وأمانته والتزامه الأخلاقى ، ولابد من أن يحتاج إلى نور وهدى من النبوة والوحى ، هذا النبى يعاضد العقل ويؤكد حكمه ، ويجعله موثوقا فيما يستقل بمعرفته ، مثل البعث والنشور ، كما يكشف عن وجوه الأشياء التى لا يدرك العقل حسنها وقيمتها ، ومن هنا تجىء ضرورة النبوة . ولقد التقى العقل

والوحى لأول مرة فى القرآن الكريم ، ومعنى هذا أن العقل لن يكون المصدر الوحيد للمعرفة الصحيحة ، ولا يمكن أن يصل وحده إلى الحقيقة .

وقد طرحت المذاهب الفلسفية الغربية فى أفق الفكر الإسلامى مفاهيم واحدة ، وسموما كثيرة ، استهدفت بعث الفلسفات القديمة التى قضى عليها الإسلام ، وقد عمد التغريب إلى ابتعاثها من جديد لخلق جو من الشك والقلق والريبة والفساد الخلقى والاجتماعى . ولقد جاء الإسلام كاشفاً عن جوهر المفهوم الإنسانى الأصيل الجامع ، سواء بالنسبة لمنهج الحياة الاجتماعية والعلاقة بين الإنسان والله تبارك وتعالى ، أو بين الإنسان والمجتمع ، أو بالنسبة للميتافيزيقا وعالم الغيب ، وبذلك أغنى المفهوم الإسلامى : المسلم عن فروض الفلسفة ومقولاتها ، ومن هنا فإن الفلسفة لا تمثل أى عنصر إيجابى فى الفكر الإسلامى . والمعبرون عن الفكر الإسلامى فى تكامله الجامع وأصالته هم الفقهاء وأهل الحديث ، فهم وحدهم الذين ارتبطوا بالنص ارتباطاً واضحا ، ونظروا إلى المجتمع من خلال منهج حفظ لهم محتواه عقائدياً وتشريعياً وأخلاقياً وسياسياً واقتصادياً واجتماعيا وتاريخياً .

وقد وقف الإسلام موقفاً واضحاً من التفرقة بين العلوم والفلسفات ، وبنى لها منهجها التجريبى ، وقبل من العلوم القديمة ما رآه لا يتعارض مع التوحيد ، ورد الوثنى ، وصحح أخطاء العلماء الأول ، ورفض الفلسفة ـ فى مجال الإلهيات ـ لمناقضتها للتوحيد وعدم نفعها .

وقد قاوم علماء المسلمين الفلسفة اليونانية وماديتها وانحرافها ، وحطموا وجهتها ، كما أكد الباحثون أن انتشار الفلسفة اليونانية وسيطرتها كان العامل الأكبر فى انحطاط الفكر الإسلامى إلى جوار عوامل أخرى ، منها الآثار التى أحدثها الشعوبيون فى المجتمع الإسلامى ، بالإضافة إلى الحروب الخارجية مع التتار والصليبيين والطامعين فى الحكم والسيطرة ، وقد كان إحياء الفلسفة اليونانية من عمل التغريب الذى أراد به تزييف الفكر الإسلامى عامة وإثارة الشبهات والسموم فى أعماقه .

وقد سبقت ذلك ولحقت به دعاوى باطلة عن عبقرية اليونان وعجز العرب عن فهم الفلسفات ، وكانت دعوى تبعية المسلمين للفكر اليونانى دعوى باطلة ، فقد أقام المسلمون منهجهم بعيداً عنه ، وعارضوا جوانبه التى لا يقرها التوحيد .

وفى العصر الحديث عمد التغريب إلى دفع مفاهيم الفلسفة المادية إلى أفق الفكر الإسلامى تحت اسم فلسفة العلم ، اعتماداً على خيوط واهية بحجة القول بأن الفلسفة المادية تعتمد على مفاهيم العلوم الطبيعية ، والواقع أن استعمال أسلوب العلم التجريبى والطبيعى فى دراسة العلوم الإنسانية زيف باطل ، ولا يمكن أن يؤدى إلى تقديم نتائج صحيحة .

ولقد تطورت الفلسفات فى الغرب من مدرسية إلى مثالية إلى مادية صريحة والفلسفات القائمة الآن فى الغرب سواء المادية الجدلية أو الوجودية أو البرجمائية ، كلها فلسفات مادية لا تتناول الإنسان إلا من مفهوم أنه حيوان خاضع لمطامع الطعام أو الجنس ، وهى تقوم على تبرير الواقع الفاسد المنحرف ، ومن هنا قصرت النظم التربوية العالمية عن تكوين النموذج الإنسانى المتكامل ، وقد احتجب عن الغرب أثر الدين الحق بروحانياته وأخلاقياته ، وتصوره للكون والإنسان ، ومقدرته على تنظيم أمور الحياة .

ويقوم المنهج العلمى الغربى على انشطارية مادية من ناحية ، وعلى الهوى والاستعلاء من ناحية أخرى ، وهو لا يستطيع أن يواجه الإسلام إلا بخصومة وحقد شديدين يبعداه عن المنهجية الصحيحة .

والفكر الغربى اليوم محاصر بنظريات ثلاث :

هى النظرية المادية ، والدوافع الاقتصادية ، والدوافع الجنسية ، وأهواء الوجودية ، وكلها تحتقر الإنسان احتقاراً شديداً ، وهناك الجبرية التى تريد أن تخلى الإنسان من المسئولية الفردية وتلقى تلك المسئولية على المجتمعات ، ويقوم المجتمع الغربى على طوابع المتعة الحسية والعنف والقسوة والحقد والبغض ، والاستعلاء بالعنصر ، والاهتمام بالكم وتضحية الكيف ، والإسراف فى الجانب الاستهلاكى .

وقد جاءت الشيوعية جزءاً من نظام غربى ، ورد فعل للرأسمالية ، وقد ثبت فشلهما فى بيئتهما وفى أفق العالم الإسلامى أيضاً ، الذى يختلف تماماً عن المجتمع الغربى ولا ريب أن الرأسمالية والماركسية كلاهما من منبع واحد ، من حيث سيطرة مفهوم المادة والتفسير المادى للتاريخ .

وقد طرحت هذه النظريات فى أفق الفكر الإسلامى بهدف القضاء على وحدة الفكر الجامعة التى أقامها القرآن الكريم فى الأمة الإسلامية ، وخلق الصراع الفكرى والطبقى .

ومن وراء ذلك التغريب ، والغزو الفكرى ، والماسونية ، ومخططات بروتوكولات صهيون ، فى تدمير البشرية ، وتدمير المجتمع الإسلامى أساسا ، ولا اختلاف على أن العلوم

النظرية والعلمية تراث إنسانى قابل للنقل والاقتباس ، شريطة أن ينصهر فى بوتقة المفهوم الإسلامى للعلم والحضارة ، أما الأفكار الفلسفية والسياسية والعقائدية فلها مجال آخر ، لأنها متصلة بالجانب القومى والتاريخى لكل أمة ، فلكل أمة أسلوب عيشها وثقافتها التى تقوم على عقيدتها وأخلاقها .

ولعل أبرز معالم الثقافة الإسلامية الحقيقية ، هى منهج الثوابت والمتغيرات الذى يتميز به الفكر الإسلامى عن الفكر الغربى ، والقائم على أن هناك قيما أساسية ثابتة لا يمكن تغييرها ، وهى القيم الأخلاقية العليا التى جاء بها الدين الحق ، وتلتقى مع فطرة الإنسان ، فهى من الثوابت القائمة التى تتحرك من حولها الأشياء والناس .

فالحق والخير والعدل والرحمة والإحسان كلها قيم أساسية لا تتخلف على مر العصور والدهور ولا يختلف معناها ، ومفاهيم الأخلاق لا تتغير ، وإنما تجرى حركة المتغيرات من داخل دائرة الثوابت التى أقرها الإسلام .

ولذلك فإن دعوات التغريب إلى تدمير هذه الثوابت لا يقرها الإسلام ولا يقبلها .

* * *

الفصـــل الخامس

مفاهيم النفس والأخلاق والاجتماع

حاولت مؤامرة التغريب والغزو الثقافى طرح مفاهيم وافدة فى محيط الفكر الإسلامى فى مجال النفس والأخلاق والاجتماع ، عن طريق مايسمى بالدعوات والمذاهب العالمية ، يراد بها حجب مفاهيم الإسلام الحقيقية فى هذه المجالات الثلاثة :

فقد حاول دعاة الفلسفة المادية فى العصر الحديث إعلاء مفاهيم التحليل النفسى التى جاء بها فرويد ، والتى لم تكن إلا نوعاً من التحدى للفطرة الإنسانية الصحيحة ، وقد جرت محاولة التغريب والغزو الثقافى لإذاعتها فى مختلف مجالات الثقافة والفكر ، وفرضها على الجامعات والمعاهد ، لخلق روح الانحراف والتحطيم والتدمير للشخصية الإنسانية .

وقد أخذت هذه المفاهيم تهز النفوس البشرية هزاً عنيفاً ، وكان لها أثرها البعيد فى أزمة الإنسان الحديث .

ولكن علماء المسلمين فى العصر الحديث لم يدعوها دون أن يفندوا أكاذيبها وأضاليلها ، ويكشفوا عن زيوفها وأغلاطها ،

وبيينوا عن غاياتها البعيدة التى قام بها رجل يهودى يحمل لواء الصهيونية التلمودية .

وقد تبين من الدراسات الجادة أن التحليل النفسى الذى عرف عن فرويد ليس علماً بالمعنى المتعارف عليه للعلم ، بل لا تنطبق عليه شروط العلم الواجبة ، وأهمها اليقين والموضوعية وهى شروط العلوم الطبيعية ، وهذا القصور ينطبق على العلوم الاجتماعية جميعاً ويدمغها جميعاً بأنها علوم زائفة للأسباب التالية :

أولاً : غلبة الاتجاه المادى فى علم النفس ، بحيث جعله يتصور النفس الإنسانية تصوراً مادياً ، فهى مجموعة غرائز تتطلب الإشباع المادى المباشر ، والإنسان فى إطار هذه النظرة المادية مدفوع دائماً بقوى لا معقولية ، ومغلوب على أمره ، تصدر عنه أفعال قهرية ، وكل ما يملكه العقل من (حيل) هى تدبير هذه الأفعال ، أو البحث عن وسائل مقبولة لإشباعها أو التسامى بها ليزاولها بصورة أجمل .

ثانياً : معظم النتائج التى توصل إليها بعض أصحاب الاهتمامات النظرية فى علم النفس وعلى رأسهم فرويد ، استخلصت من الحالات المرضية ثم عممت على حالات الأسوياء ، وتبنت نماذج نظرية كاملة فى هذا الإطار الزائف .

ثالثاً : علم النفس التجريبى كذبة كبرى ، لأن النفس (ذات كلية) ولا يمكن تحويلها إلى موضوع أو تشريحها تحت المجهر ، ولا يوجد فرع من فروع العلم التجريبى ـ ومنه العلوم الفيزيائية ـ يؤدى إلى المعرفة اليقينية ، ولا توجد ملاحظة بشرية معصومة من الخطأ .

وهكذا يتكشف فساد ماطرحته حركة التغريب فى مجال علوم النفس التى ارتبطت بالمسيحية الغربية أساسا ، ثم طرح الفكر اليهودى التلمودى عن طريق فرويد مفاهيم جديدة ارتبطت بالمفاهيم المسيحية ، وهناك مفهوم علم النفس الإسلامى الذى يستمد مقوماته من أصول الإسلام .

* * *

وفى مجال الأخلاق حاول التغريب أن يطرح مفهوماً غربيا مادياً ، وأن يحمى مفهوم الفلسفة اليونانية الذى اعتنقه بعض المشائين المسلمين ، وخاصة ما كتبه الفارابى ، والكندى ، وإخوان الصفا ، وابن مسكويه ، وابن سينا ، وابن ماجة ، وابن طفيل ، وابن عربى .

وقد تبين أن هؤلاء الفلاسفة قد أقاموا مفاهيمهم فى الأخلاق على أساس مفهوم اليونان (وهو مفهوم وثنى مادى) هذا الأساس الأجنبى هو الذى أعلاه التغريب لحجب مفهوم الإسلام الصحيح .

وقد حاول التغريب القضاء على (أخلاقية الإسلام فى الحياة والمجتمع) بالدعوة إلى مسئولية المجتمع ، بينما يقرر الإسلام المسئولية الأخلاقية الفردية ، على أساس الالتزام الذى هو أصل كل مذهب أو نظرية فى الأخلاق ، فلا مسئولية بلا إلزام ، وإذا عدمت المسئولية فلا يمكن أن تسود العدالة وحينئذ تتفشى الفوضى ويفسد النظام ، ومن الالتزام الذى قرره الإسلام تتولد المسئولية والجزاء .

ولقد طرحت حركة التغريب مفهوما للأخلاق يختلف عن أخلاق الإسلام ، مستمداً من الفلسفة اليونانية الوثنية والفلسفة المادية المعاصرة ، حيث يتمثل هدف الأخلاق فى السعادة (أخلاق سعادة) بينما يتمثل هدف الأخلاق فى الإسلام فى التقوى (أخلاق تقوى) تقوم على الإيثار وتجنب الحرام والإقبال على الحلال .

وقد نظر المسلمون إلى الأخلاق على أنها منهاج عملى غايته التعاون فى الحياة واحترام القيم الإنسانية وحسن المعاملة ، بينما نظرت الفلسفة اليونانية إلى الأخلاق على أنها جانب نظرى من النشاط العقلى ، خاضع للجدل والنقاش ، وقد رسم الإسلام للأخلاق منهجاً واسعاً مرناً يسير التطبيق فى مختلف العصور والبيئات .

أما الضوابط التى أقرها كقواعد أخلاقية ، فقد أقام بها حواجز متينة ضد الظلم والشر والفوضى .

وقد رسم الفكر الإسلامى للعاطفة مفهوما قوامه الحركة فى نطاق الأخلاق ، وقد وقف القرآن موقفا صريحا صارما من علاقة الرجل والمرأة من حيث العفة ، وحذر من العلاقات غير المشروعة وأوجب على مرتكبها أقصى الحدود ، وحبب فى الزواج ويسر أسبابه .

وقد واجه مفهوم الأخلاق فى النظرية الإسلامية تحديا خطيراً من الفلسفات المادية الغربية ، وذلك بعد تطور مفاهيم الفلسفة وظهور نظريات (ميكافيللى وماركس ودارون ودوركايم) وفلسفات نيتشه ، ونزعات السريالية والوجودية .

والحق أن مصادر الأخلاق دائما مرتبطة بالعقيدة ، وقد كانت الدعوة المادية تحاول أن تقيم مفهوما للأخلاق منفصلا عن العقيدة .

ولا يقر الإسلام بالصراع بين البشر وبين الله ، ولا مفهوم الخصومة بين الآلهة المدعاة ، وبين الناس ، وقد اتصل هذا المعنى الإغريقى بالفكر الرومانى الذى يقيم فلسفته على أساس أن أهل روما هم السادة والناس جميعاً خارجها عبيد ، ومن ثم علا مذهب المتعة ، وساد الفساد والانحطاط ، وقام كل شىء على أساس القوة ، وعبادة القوة اعتقاداً بأنه بها وحدها

ينال الإنسان الثروة ، وكانت الفكرة المسيطرة هى استغلال الأمم لمصلحة روما .

ولا يقر الإسلام مايطرحه الفكر الفلسفى الاجتماعى من القول بنظرية الطبيعة ، أو أن للإنسان سيادة تجعله معبوداً أو شبه معبود ، أو وصفه بالحيوانية والمادية ، وإنكار جانبه الروحى على النحو الذى دعا إليه دارون وماركس وفرويد .

كذلك فقد عارض الإسلام نظرية تطور الأخلاق بالنسبة لعامل تغير الزمن ، أو لعامل تغير المكان واختلاف ظروف الحياة ، مما دعا إلى الدعوة للتحرر من القيم والمثل العليا وتركيز الجهود على اللحظات الحاضرة .

فقد أقام الإسلام قاعدة الالتزام الخلقى على أساس مراعاة الاستطاعة ، وذلك فى قوله تعالى ﴿ **فَاتَّقُوا الله مَا اسْتَطَعْتُمْ** ﴾ ويقوم النص القرآنى على أساس مفهوم (العمل الأحسن حسب وحى الساعة) ، وبهذا يتحقق التوفيق بين أوامر الله ومقتضيات الواقع ، ويجمع بين الاتجاهين : لا تحديد صارم ، ولا ترك كامل .

ومن ذلك مادعت إليه حركة التغريب والغزو الثقافى من أن

الأمم ليست فى حاجة إلى الدين قدر حاجتها إلى الأخلاق ، وتلك نظرية خطيرة إذ أنها حين ترفض الدين تدعو إلى أخلاق ليس لها قاعدة أساسية ، وليست مرتبطة بالعقيدة ، أما الإسلام فلا يرى أن هناك أخلاقاً منفصلة عن العقيدة على أساس أن المسئولية الأخلاقية هى مسئولية جزاء ، والجزاء جزء من الدين ، فلو استقر فى النفس أنه ليس هناك دين يقرر البعث ، فمعنى هذا أنه ليس هناك جزاء .

وهناك لا تكون للأخلاق قيمتها الحقيقية المندفعة من أعماق النفس ، والواقع المرئى أن تقدم العلوم لم يضمن تقدم الأخلاق ، فإن اعتزاز الإنسان بقدرته التى لاحد لها فى الكشف والاختراع قد نزع عنه عقيدة الدين أساساً ، ثم كانت انطلاقة الغرائز واللذات عاملا مؤثراً على فكرة الالتزام الخلقى ، وغلبة مذهب المنفعة والأنانية ، بالإضافة إلى عزل الأخلاق والدين عن مجال التربية والتعليم فى الغرب .

* * *

وفى مجال العلوم النفسية والاجتماعية ، كانت هجمة التغريب بإذاعة النظرية الوجودية التى توسعت فى مجالات الأدب والحياة والمجتمع ، وهى ترمى إلى تجريد الإنسان من مسئوليته الفردية ، والتزامه الأخلاقى ، وإحالة المسئولية على

المجتمع ، ومن ثم وجدت الفكرة هوى فى النفوس الضعيفة ، وانطلقت على تلك الصورة المدمرة فى كل أنحاء العالم ، توحى بالتفكك والتحلل والتمزق ، وهى علامة على دخول الغرب فى مرحلة الانحدار والتمزق ، الذى فرضته الفلسفة المادية ، التى قادها اليهود التلموديون ، وإن كانت لا تخلو من تمثل أخطر ما تلقته التعبيرات المسيحية حول نظرية الخطيئة الأصلية : ذلك السوط الذى مازال يلهب ظهور الجميع ، ويسوقهم إلى الدمار النفسى .

ولا ريب أن فلسفة سارتر الوجودية هى بديل الإيمان ، الذى عجز الغرب عن الحصول عليه عجزاً مطلقاً ، ولا ريب أن البشرية حين انطلقت لترسم لنفسها طريقاً بعيداً عن طريق الله ، فإنها ستظل تائهة فى مضارب الصحراء ، ومادام الإنسان قد شرع لنفسه ورفض الأسس التى قدرها الحق تبارك وتعالى لينظم المجتمع البشرى ،فإنه ليس هناك قواعد ما يمكن أن تفرق بين الحق والباطل .

إن الوجودية تقوم على مفاهيم سحق الإنسان باسم تحرير الإنسان ، وكتاباتها لا تحمل إلا اليأس القائم ، فهم يقولون إنهم جيل بلا أمل،بلا عمق ، بلا مستقبل ، وأن

عمقهم هو الهاوية ، وحبهم هو الوحشية ، وحياتهم علب من ورق فارغة وقابلة للتمزق .

وقد كان طرحها فى أفق الإسلام محاولة لإثارة روح اليأس والقلق ، والشك والحقد ، حيث يفتح الإسلام الآفاق للأمل والإيمان وإعطاء النفس الإنسانية السكينة .

وقد تبين أن مفاهيم الوجودية غريبة عن أفق الإسلام كل الغرابة ، مختلفة عن طوابع الفكر الإسلامى والمجتمع الإسلامى ، ولا تتصل بسبب إلى ثقافتنا أو قيمنا أو عقائدنا ، وهى توحى بأن الفكر الغربى والمجتمع الغربى يمرانبمرحلة انهيار كامل يتمثل فى الأسرة والفكر والمجتمع ، إن طوابع المادية الخالصة قد صرعته تماماً ، وإن انكاره للروح والدين والخلق والإيمان بالله قد دمره تماماً ، وهى متناقضة مع جوهر الإنسان ومع فطرته .

ولا ريب أن موقف الوجودية من الألوهية موقف أشد عنفا ، وأخطر مما يقول به الملحدون أو المشركون ، فهو يضع الذات الإلهية فى مقام التزاحم مع الإنسان ، وأن وجود أحدهما يلغى الآخر ﴿ تَعَالَى الله عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً

كَبِيرًا ﴾ والإنسان ليس فى الحقيقة إلا خلق الله وعبده ، وفضل من فيض فضله وعطائه .

وإذا قيل إن الوجودية تحمل مفهوم الحرية ، فإنما هى الحرية بمفهوم تحرير الإنسان من مسئوليته وإطلاق أهوائه إلى حد بعيد ، وكيف يستقيم أمر نظرية تدعى أنها عملية حين تنكر وجود الحق تبارك وتعالى ، وكيف يمكن أن تعلل وجود العالم ، وكيف يمكن القول مع الوجودية بأن العالم وجد بلا داع ، ويمضى لغير غاية ، ونحن نقرأ قول الله تعالى :

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ .

لقد تبين للفكر الإسلامى أن محاولة التغريب فى طرح هذه السموم قد أدى إلى إثارة الشكوك ، ولكن الوجودية لأنها خالفت الفطرة لم تجد قبولا من النفس المسلمة ، ولم تستطع أن ترضى العقل ، ولم تعترف بالروح ، فهى تجعل الإنسان فى عزلة عن الجماعة أنانيا غاية الأنانية أولا ، وتجعله يستطيب إبراز القبيح من جوانب الطبيعة والإنسانية ثانيا ، وتجعله يفصل نفسه عن ربه وعن السماء وعن الدين ويتنكر لكل القيم الخالدة ثالثا ، ولأنه يؤوس قنوط قلق متمزق لا يجد

قراره ولا راحته ولا طمأنينته ولا أمنه النفسى ، بينما الإسلام هو عكس هذا كله نوراً وهدى .

* * *

كذلك فقد طرح التغريب مفاهيم مدرسة العلوم الاجتماعية الذى وضع قواعده (دوركايم) اليهودى ، هذه القواعد التى ترمى إلى طمس فعالية الإنسان وتجعله عبداً لمصير مجهول ، ولقد كانت أهداف هذه المفاهيم تدمير العقلية العربية الإسلامية ، التى تقوم على أساس الإيمان بالله ، وإرادة الفرد ، والالتزام الخلقى ، والمسئولية والجزاء ، لتضعه فى إطار جبرية ضالة تحاول أن تصور المجتمع بصورة الصراع ، وتقيم من التناقضات أساسا ، بينما يقوم المجتمع الإسلامى على التقاء العناصر والأجزاء فى كل متكامل دون صراع أو جبرية .

إن نظرية دوركايم ليست إلا فرضية بناها عقله من خلال أحقاده على البشرية ، وعلى طريق المخطط الذى سار عليه حكماء صهيون فى تدمير الإنسان . ولما كان دوركايم ربيب الثقافة الماركسية من ناحية ، والنظرية المادية من ناحية أخرى ، فإن مفهومه معارض تماماً للقيم الأساسية التى جاءت بها الأديان ، وتقبلها الفطرة فى منهجها الربانى ، القائم

على النظرة المتكاملة للإنسان (روح ومادة) فهو يدعو إلى إنكار الفرد ومسئوليته ودوره وإعلاء شأن الظاهرة الاجتماعية وتحميلها كل النتائج على النحو الذى يؤدى إلى أخطر الآثار التى يترتب عليها انكسار مسئولية الفرد والتزامه الخلقى وجزاؤه .

ومن شأن هذه الدعوة المسمومة أن تسوغ للأفراد تصرفاتهم الإباحية ، وتحررهم من المسئولية والتبعة ، وتلقيها على المجتمع . ومعنى هذا قيام دعوة معارضة تماما لمفهوم الدين الحق ، ولحدوده وجزائه ، ولقاعدة أساسية من قواعد الإيمان بالله .

يقول دور كايم : إن الفرد لا قيمة له ولا معنى للتشبث بالحرية الفردية ، وإنما القيم كلها للمجتمع ، الذى يخلق الأديان والعقائد والقيم الروحية ، وكلها عبث لا قيمة لها .

ومعنى هذا دعوة صريحة إلى حتمية التحلل والانحلال ، وأهم ما فى نظرية دوركايم هو :

١ ـ إقامة فكرة التطور المطلق التى تلغى مفهوم الإسلام القائم على إطار من الثوابت فى داخله حركة وتغيير .

٢ ـ الدعوة إلى فكرة القهر الخارجى الذى يقهر الفرد على غير

رغبة منه ، وذلك ليلغى مفهوم الإسلام القائم على الإرادة الفردية والمسئولية الأخلاقية والجزاء الفردى .

٣ ـ تفسير الإنسان وفق مذاهب المادة وعالم الحيوان ، وذلك فى مواجهة مفهوم الإسلام الذى يكرم الإنسان ويجعل له منهجاً خاصاً لفهمه يختلف عن المادة وعن الحيوان .

٤ ـ إنكاره القواعد الخلقية وثبات القيم الأخلاقية ، وهو ما يقرره الإسلام .

٥ ـ إنكار فطرة الدين والأسرة والزواج وفى ذلك معارضة لأصول أصيلة من النظام الإنسانى .

٦ ـ لا يعترف دوركايم بأن الحياة البشرية يمكن أن تفسر عن طريق نفسية الفرد وطبيعته وكيانه الفردى ، وإنما يفسرها العقل الجمعى ، وهذا الرأى معارض لمفهوم الإسلام الذى يقرر أن كل إنسان مسئول عن نفسه مسئولية خاصة ، وأن تعلله بفساد المجتمع أو اضطرابه لا ينجيه من جزاء أعماله .

٧ ـ نفى القداسة عن الدين والأخلاق والأسرة والتشكيك فى قيمها ، وهو يدعو إلى تحطيم الدين لأنه ليس فطرة

إنسانية ويعوق التطور ، وتحطيم قيود الأخلاق لأنها لا وجود لها فى ذاتها .

وهكذا نجد أن طرح هذه النظرية المسمومة فى أفق الفكر الإسلامى ترمى إلى إشاعة روح اليأس والقنوط ، والاستهانة بالأخلاق والقيم .

ولا ريب أن دوركايم ومعه زملاؤه اليهود ، قد صدروا فى مذهبهم عن هدف واضح ، وجريا فى نطاق محدود ومعروف ، بدأه ماركس ، وأكمل شطره فرويد ، وجاء دوركايم ليحكم الحلقة .

إن التحديات التى تواجه المسلمين اليوم عن طريق العلوم الاجتماعية والنفسية والأخلاق المادية التى أحكم نظريتها التلموديون ، هى أخطر التحديات ، لأنها تمثل فى الحقيقة يد الصهيونية التلمودية التى تقتحم عقولنا وفكرنا ومجتمعنا ، وأننا مازلنا فى حاجة شديدة إلى التحرر من هذه المدرسة التى صاغتها بروتوكلات صهيون ، ونحن أولى بأن نكسر هذه القيود ، ونحرر فكرنا ومجتمعنا من المذاهب الهدامة .

* * *

الفصــــل السادس

طرح سموم الحضارة الغربية فى مجتمعنا

كان تدمير المجتمع الإسلامى هدفاً أساسياً للتغريب منذ سيطرت القوى الاستعمارية على بلاد المسلمين ، وقد تنامى هذا العمل حتى وصل إلى مراحل خطيرة ، وكان الهدف هو حجب الإيمان بالله تبارك وتعالى ومسئولية الإنسان المسلم ، والتزامه الأخلاقى ، ودفعه فى طريق الشهوات ، ولذلك فإن أخطر ما يعانى منه المجتمع المسلم هو : الأزمة الأخلاقية .

وقد كان للمذاهب الغربية المسيطرة على المجتمع الإسلامى أبعد الأثر فى دعم النفاق والفساد ، وجاءت الأفكار اليسارية المسمومة فخلقت جواً عاصفاً من الطمع والخداع ، والتدليس والاحتيال ، والتدافع نحو امتلاك ما لايحل لهم ، وكان من وراء ذلك خطة للنهب العالمى الذى قامت به الدول الكبرى فى سبيل استنزاف خيرات المسلمين .

وتأثر البيت الإسلامى لهذا الانحراف ، واضطربت علاقات المرأة والرجل ، واهتزت القدوة فى الأب والأم على السواء ، وأثر التعليم العلمانى المفرغ من قيم العقيدة والأخلاق وأخطار وسائل الإعلام : السينما ، والمسرح ، والإذاعة ، والتليفزيون ، والصحافة .

وكان لهذا الأثر الخطير فى طرح سموم الحضارة الغربية فى مرحلة انحلالها فى أفق الأمة الإسلامية أثر بعيد المدى ، فى تشكيل الأجيال الجديدة ، على مناهج ليست إسلامية المصدر ، وليست إنسانية المستوى ، فهى مناهج مرتبطة بالمجتمعات الرأسمالية أو الشيوعية .

ومن أخطر وجهات الغزو فى مجتمعنا الإسلامى دعوة الناس إلى علاج مشاكلهم بالرقص والسينما والغناء ، وفى دعوات الأغانى المنحلة دعوة إلى عبادة الحياة ، أو السخرية بقيم الإسلام وجزائه وحدوده .

وهكذا يمكن القول بأن التغريب نقل إلى المجتمع الإسلامى جميع سوءات المجتمعات الغربية وفسادها دون أن ينقل إليها شيئاً واحداً من حسناتها ، وكان أبرز ما هنالك هو :

أولاً : نقل وسائل الترفيه والتسلية من فنون ورقص وترف وموضات ، وجعلها عنصرا أساسيا ينفق عليها أغلب الدخول فى مجتمع نام قليل الموارد .

ثانياً : نقل إلى المجتمع الإسلامى فلسفة هذا التحول بالدعوة إلى التخفف من الواجبات والأمانات والقيم ، والاستهانة بالضوابط والحدود ، والاندفاع وراء الشهوات والأهواء ، سواء أكانت فى علاقات التعامل بالغش والرشوة ، أم علاقات الرجل والمرأة بالخداع والاغتصاب . وذلك بهدف

القضاء على روح الصمود والمقاومة ، والحماية للمجتمع من رياح السموم ، ومن اندفاعات الغزو والسيطرة .

وقد ساق التغريب ذلك كله باسم : التقدم والرفاهية ، على أساس إعلاء شأن طائفة صغيرة من القادرين بينما بقيت الطبقة الأكبر عاجزة عن الوصول إلى هذا القدر من المتاع الحرام ، وبذلك تهددت أصول المجتمع الأصيلة القائمة على التوسط والبعد عن الانحلال ، وعلت صيحة الاندفاع نحو امتلاك وسائل الترف المادية من أى مصدر ودون التقيد بضوابط الإسلام .

ويعد هذا العمل الذى حاول طرح أسلوب العيش الغربى فى المجتمع الإسلامى من أخطر المحاولات لاحتوائه وصهره وإخراجه من طابعه الأصيل . وأخطر ما حققه هذا التغريب الاجتماعى هو تمزيق الأسرة والقضاء على رجولة الرجل وأنوثة المرأة ، ودفع الرجال والنساء جميعاً إلى الخروج عن القيم عن طريق السهرات الصاخبة ، والعلاقات الاجتماعية المضطربة ، وما يتصل به من اختلاط الرجال والنساء ، وكان الطمع فى امتلاك موارد جديدة للإنفاق عاملاً من عوامل الاندفاع وراء الحرام ، والتحلل من التماسك الخلقى ، وفتح الباب أمام إغراءات قد تكون فى غير صالح الوطن نفسه . كذلك فإن أسلوب العيش الغربى الذى فرضته عملية التغريب

الاجتماعى ، كان عاملاً هاما فى دفع المسلمين إلى التفرنج ، والولع بالترف والزخرف والأوانى والتحف والموسيقى ، وقضاء الساعات الطوال أمام أجهزة التليفزيون والفيديو ، والتخفف من العبادات ، والانصراف عن عوامل الثقافة والأصالة ، ونقل المجتمع كله إلى صورة من التحلل والرخاوة ، وهو هدف أساسى للتغريب فى ضرب المجتمع الإسلامى ، حتى ينهار ويصبح عاجزاً عن مواجهة الغزو الخارجى ، ومقاومة السيطرة الأجنبية المتغلغلة فى الوطن الإسلامى كله ، بقصد احتوائه والسيطرة على موارده ، بل هو يدفعه إلى الإعجاب والارتماء فى أحضان هوة الإسلام المعارضة لمفاهيم الإسلام وروحه ، ومن شأن هذا أن يخلق نوعاً من الإعجاب بالغاصب وتقليده وتقبل نظرته المشوهة إلى الإسلام ، واعتناق نظمه السياسية والاجتماعية .

ولا ريب أن يقوم هذا المجتمع الغربى ، المفرغ من قيم الإسلام ، فى ظل نظام اقتصادى ربوى رأسمالى أو ماركسى لا يهم ، وإنما المهم هو التبعية لأسلوب العيش الغربى

والاعتقاد بأن التنظيم السياسى والاقتصادى الغربى تنظيم مثالى .

ولما كان الفكر الغربى الليبرالى ـ والفكر الماركسى شطر منه ورد فعل له ـ والذى حاول السيطرة على المجتمع الإسلامى ، كان فكراً غربياً مسيحياً له جذور يونانية وثيقة ، ومفاهيم رومانية عبودية ، لذلك فإنه يطرح من الوهلة الأولى محاولة فصل الدين عن المجتمع ، وإعلاء شأن العلمانية التى تقرر اتخاذ القانون الوضعى نظاماً مطبقاً فى شئون القضاء والاقتصاد والسياسة والتربية والتعليم ، ويحجب الشريعة الإسلامية بكل معطياتها ، ومن ثم فقد فتح القانون الوضعى الباب واسعاً أمام الخمر والزنا والربا ، وحطم الحصانة التى تقيمها الحدود الإسلامية لحماية المجتمع من الانهيار والتحلل . وفى مجتمع كهذا تصبح لأفلام هوليود ولحلقات الجريمة والجنس فى السينما والتليفزيون والإذاعة والمجلات المصورة آثارها البعيدة ، فى تكوين الأجيال الجديدة ، وفى الشاب والطفل والفتاة العذراء على وجه الخصوص ، فإذا كانت المرأة عاملة تقضى وقتها كله فى العمل نهاراً وفى النادى ليلاً ، وكان الرجل لا يجد وقتا للبيت والأسرة ، فإن الأجيال الجديدة لا تجد إجابة عن تساؤلاتها فى عهود المراهقة إلا من

كتب رخيصة تباع على أسوار الحدائق أو عن طريق صحبة الشر ، وبذلك تفقد الأسرة مهمتها تماماً .

وهكذا يتجه المجتمع الإسلامى إلى أن يكون صورة من صور الاحتواء الغربى على نمط مجتمع الاستهلاك الذى يقوم على تطلع يومى إلى المودات والأفلام ، مما يدفع الإنسان دفعا إلى الاستعباد لهذا التغير الدائم ، وفى سبيل بيع هذه البضائع ومن حولها دعاية خطيرة تملأ الصحف وواجهات التليفزيون .

ومن هنا فلابد من وجود فلسفة تحول دون العقبات : عقبة الدين ، وعقبة الأخلاق ، وعقبة الضوابط ، ولابد من هدم هذه العقبات . ولما كانت هذه المعاملات تقوم على أساس الربا فلابد من دعم الربا ، ولابد من الانتقال إلى مراحل الترف والرفاهية والانحلال ، ولابد من قيام اللهو والفساد الذى هو أشبه بمخدر ، وهى للذين لا يستطيعون أن يحصلوا على المتاع .

* * *

ويتصل بهذا قضية المؤامرة على المرأة المسلمة بالدعوة إلى تحرير المرأة ، والحقيقة أن التغريب إنما جاء من أجل هدم الأسرة ، وإخراج المرأة من مهمتها الأساسية التى رسمها لها الإسلام ، وذلك بدعاوى عريضة منها المساواة بين الرجل

والمرأة ، وحرية المرأة فى عواطفها وجسدها ، وقد اندفعت المرأة وراء هذه الأهواء ، وتأثرت أجيال متعددة بهذه السموم مع إصرار على تقديم مغالطات مضللة ، حتى جاءت أبحاث العلماء المنصفين الغربيين أنفسهم ، أمثال الكسى كاريل وغيره ، تؤكد أن تركيب المرأة مختلف عن تركيب الرجل من جميع النواحى التشريحية والعقلية والنفسية ، وأن المرأة قد خلقت وخلق كيانها على نحو يمكنها من أداء رسالتها التى خلقها الله لها ، فإذا تجاوزتها اضطرب كيانها العصبى والنفسى . وأكدت الأبحاث أن المساواة بين المرأة والرجل لا سند لها من علم أو فكر سليم ، فى أية ناحية من النواحى

وقد تكشفت حقائق كثيرة تثبت أن وراء هذه المؤامرة بالنسبة للمرأة قوى اقتصادية تلمودية ، تريد هدم المجتمعات وتدميرها ، وقد تبين أن هناك خطة مرسومة يراد بها إيصال الأمة الإسلامية إلى مرحلة الاستسلام والانحلال والانصهار فى الحضارة الغربية ، تحت اسم حرية المرأة .

وقد عرفت المرأة فى الغرب الآن أبعاد المؤامرة التى أخرجتها من بيتها ، وأنزلتها من عرشها ، ولابد أن تعرف ذلك المرأة المسلمة التى كرمها دينها فأخرجها من الجور الذى عرفته المرأة فى القديم ، وحماها من الظلم الذى يراد بها فى ظل هذه الحضارة المادية .

لقد فتح لها الرجل هذا الباب لغاية فى نفسه ، فانخدعت وتركت أطفالها تحت رحمة الخادمات ، حتى أصبحت البيوت مظلمة كئيبة ، وتمردت الأجيال التى تربت فى أحضان الخادمات ، ونشأت فى جو من الحقد والتحدى والعنف ، لأنها لم تجد حنان الأمومة التى يبتعثها الصدر الأنثوى ، ويربى فيها عنصرى الأمل والإيمان .

إن المرأة المسلمة هى دعامة الأسرة ، ووظيفتها ـ ليست الطبخ والغسل كما يدعى التغريبيون ـ ولكن هى حماية هذا النظام وإنشاء الأجيال الصالحة ولها أن تلى من الأعمال مايناسبها ويحفظ كرامتها ، كالتعليم ، والتربية ، والتطبيب ، والتمريض ، إذا آمنت تماماً أن بيتها لن ينهار أو يضعف .

ولذلك لم يقر الإسلام من عمل المرأة إلا أنواعاً معينة وفى حدود ضيقة هى الإعالة لنفسها وأهلها .

ولا يفرض الإسلام ـ كما لا يقر ـ التكليف الشاق على المرأة ، كما لا يعترض عليها كزوجة أى دور فى كسب المعاش ، أو مشاركة الرجال فى جو من النشاط إلا ما لا يتفق مع فطرتها ، وإذا لم يتيسر لها الحماية الكاملة لدينها وعرضها فإن عملها يكون من الأمور التى يجب إعادة النظر فيها .

* * *

وبعد ، فقد اتخذ التغريب من أدوات ووسائل الحضارة

الغربية سلاحا لهزيمة المسلمين ، والحيلولة دون نهضتهم ، أو الوصول إلى مكانهم الحق ، ووجه كل أسلحته الحربية والعلمية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية إلى قلب العالم الإسلامى على حد تعبير أحد رجالهم ـ الفريد كانتول شميث ـ بقصد إذلاله وتحقيره ، وإشعاره بالضآلة والخنوع ، كما حاول أن يتخذ من سلبيات الحضارة عاملاً من عوامل الهزيمة للمسلمين ، بل إنه ذهب إلى أبعد من ذلك ، إذ حجب عن المسلمين كل إيجابيات الحضارة ، وخاصة العلم والتكنولوچيا ، وأغرق العالم الإسلامى فى حمأة الفساد والتحلل والمغريات ، وفى مقدمتها الخمر والمخدرات .

إن من أخطر مقاتل الحضارة الغربية الدعوة إلى الانطلاق من آثار الضوابط والحدود التى دعا إليها الإسلام ، لحماية كيان الإنسان الفرد وكيان المجتمع .

ولا ريب أن الفكر الإسلامى يرفض هذه الانحرافات التى تمر بها الحضارة الغربية ، والتى توردها مورد الهلاك ، فقد حملت الناس على الانصراف عن المعنويات إلى الماديات ، ودفعتهم إلى ذلك الاندفاع وراء تملك الأشياء والاستهلاك ، وهى نفس العوامل التى أدت إلى سقوط الحضارة الرومانية والحضارات السابقة جميعاً .

ومن هنا فقد حرص دعاة اليقظة الإسلامية إلى دعوة المسلمين إلى الحفاظ على الذاتية الإسلامية ، والشخصية الحضارية ، والتمسك بالأصالة ، والحيلولة دون الانصهار فى أتون العالمية أو الأممية ، أو السقوط فى مصيدة الاحتواء الخارجى .

ولم يكن شغل المسلمين الشاغل على مدى التاريخ إلا حماية الشخصية الإسلامية الحضارية عن أن تذوب أو تتلاشى فى شخصية حضارية أخرى ، والمسلمون ليسوا فى حاجة إلى أن تصرعهم هذه الحضارة المادية ، وليس من مصلحتهم أن يذوب وجودهم فى خضمها .

* * *

الفصـــل السابع

المؤامرة على الفصحى لغة القرآن

وجه التغريب والغزو الثقافى مدفعيته الثقيلة إلى اللغة العربية الفصحى ، بهدف إصابة القرآن الكريم أساساً . وكل ما يثار حول اللغة العربية ، من إحياء العامية أو اللغة الوسطى ، أو مشروع العربية الأساسية كله يخفى وراءه هدفاً واحداً واضحاً هو عزل المسلمين فى هذا العصر عن بيان القرآن وعن أسلوبه ، وشق وحدة اللسان والكلمة بإعلاء العاميات فى مختلف أنحاء البلاد الإسلامية ، حتى تنمو تلك العاميات ، وتصبح لغات مستقلة ، وتحقق أمل التغريب الذى أعلنه دوفرين وويلكوكس منذ أكثر من مائة عام ، وعندئذ يصبح القرآن تراثاً يترجم ويقرأ عن طريق القواميس .

فقد دعا دوفرين إلى تحرير المصريين من اللغة الفصيحة . وقال ويلكوكس : إن قوة الاختراع لا توجد عند المصريين ماداموا يربطون أنفسهم باللغة الفصحى .

وهم يضعون تجربة اللغة اللاتينية بالنسبة للإنجيل فى أوربا كصورة نموذجية للمحاولة ، ويجهلون مدى الفارق

البعيد بين اللغتين ، وينسون أن الإنجيل لم ينزل باللغة اللاتينية أصلا وإنما ترجم إليها .

ولما عجزت خطة العامية ، قدمت خطة الكتابة بالحروف اللاتينية فى إطار المجمع اللغوى ، ثم كانت هناك خطة ثالثة هى « اللغة الوسطى » وهى محاولة ماكرة لفصل اللغة العربية الفصحى عن لغة الكلام ولغة الكتابة ، بإعلاء اللهجات واعتماد اللغة الصحفية لغة أساسية ، فلا هى عامية ولا هى فصحى ، ولكنها تنزل درجة عن الفصحى لتفصلها عن بيان القرآن ، ولتكون مقدمة لمرحلة أخرى تصل بها إلى العامية .

ثم جاءت محاولة تبديل الخط العربى وقواعد النحو باسم (تطوير اللغة) تحت اسم تهذيب أو تيسير أو إصلاح أو تجديد ، وهى أسماء لبقة مرنة تخفى وراءها هدفاً خطيراً هو التحلل من القوانين والأصول التى صانت اللغة خلال خمسة عشر قرناً أو زيادة، وهى القوانين التى ضمنت لنا القدرة على مطالعة آثار المسلمين والعرب منذ نزول القرآن وقبله .

فإذا ما تحققت هذه الخطة التى تسمى بالتطوير أو التهذيب ، وتحللنا من هذه الأصول والقوانين والقواعد التى

صانت اللغة هذه القرون ، كانت النتيجة تحقيق الهدف فى تبلبل الألسنة بين المصرى والشامى والمغربى ، كما بين الإيطالى والأسبانى ، وتصبح قراء ة القرآن الكريم والتراث العربى والإسلامى متعذرة على غير المتخصصين من دارسى الآثار ومفسرى الطلاسم ـ على حد قول الدكتور محمد محمد حسين ـ وعندئذ تصبح وحدة العرب كمقدمة لوحدة المسلمين عمل باطل .

إن الخطر فى هذه الدعوة هو فى قبول مبدأ التطوير نفسه ، لأن التسليم به والأخذ فيه لا ينتهى عند حد معين ، أو مدى معروف يقف عنده المتطورون ، ولا ريب أن التزحزح عن الحق كالتفريط فى العرض .

فالدعوة إلى إصلاح اللغة هدف من أهداف التغريب الكبرى ، يرمى إلى نسخ العقلية العربية وما فيها من ثقافة نظرية وعملية ، ذلك أن الإصلاح هو التغيير ـ كما يقول الدكتور على العنانى ـ والتغيير يعنى الإزالة والوضع ، وتغيير قواعد اللغة العربية صرفاً ونحواً بالوضع فقط أو بالوضع والإزالة معناه إحداث لغة جديدة بقواعد جديدة ، وهذه اللغة العربية الجديدة إن صح اتصالها بالعربية الحالية المعروفة اتصال اللهجة بالأم فإنها تبعد عنها شيئاً فشيئاً ،

حتى تختفى معالم الصلات بينهما أو تكاد ، وعندئذ تصبح اللغة العربية الحالية من اللغات الميتة .

وهذا مايحلم به خصوم الفصحى فى القديم والحديث ، ومعنى هذا أن يصبح تراث العربية البالغ عشرات الآلاف من الكتب فى مختلف مجالات الشريعة الإسلامية والأدب والحضارة والفكر والفن ، عبارة عن توابيت فى دار الآثار والمتاحف .

إن قواعد اللغة العربية وضعت طبقاً لنصوص القرآن والحديث والمسموع من العرب ، فالتغيير فى هذه القواعد هجر للقرآن والحديث ، كذلك فإن الإسلام ـ وهو عقيدة وشريعة ـ قد استنبطت أحكامه فيما يختص بالعقيدة والشريعة فى العبادات والمعاملات من الكتاب والسنة وعمل الرسول والقياس والاجتهاد ، وكل هذه الأركان والينابيع لا يمكن أن يستنبط منها حكم إلا بواسطة مبادىء خاصة وقوانين معروفة بعلم الأصول ، وأساس هذه المبادىء والقوانين الراسخة ، أو دعائم هذه الأصول إنما هو فهم لغة العرب : لغة القرآن والرسول بما وضع لها من القواعد الصرفية والنحوية ، وضوابط علوم البلاغة ، فإذا (أصلحت) هذه الضوابط وتلك القواعد بالإزالة والوضع ، انهدم أساس علم الأصول ،

وتداعت دعائمهُ ، وإذا انهدم الأساس وتداعت الدعائم انهدم أيضاً مايرتكز عليها وهو هذا العلم ، وإذا وصل هذا العلم الأساسى فى استنباط أحكام العقيدة ومسائل الشريعة إلى التداعى ، تداعت معه أيضاً طريقة الاستنباط ، وفهم ما استنبط ودون بالفعل ، وضاعت العقيدة واحتجبت الشريعة وعدنا إلى الجاهلية الأولى « أ . هـ » .

هذه هى خلفية الصورة البراقة التى نراها اليوم ، يحدوها مجموعة من أعداء الإسلام واللغة العربية ، ويدافعون عنها ، وينقلونها من ثوب إلى ثوب ، ومن أسلوب إلى أسلوب ، كلما انكشف لهم جانب أعادوا تشكيلها فى صورة أخرى .

نعم : إن محاولة تطوير اللغة العربية أو إصلاحها إنما هو هدف خبيث من أهداف التغريب ، من شأنه فى النهاية أن يقطع صلة المسلم بالقرآن الكريم والسنة النبوية والتراث الفقهى ، وما إلى ذلك مما لا يتحقق فى لغة أساسها العامية ، بل إنه يقطع صلة المسلم بالتراث العلمى الإسلامى بصفة شاملة .

وهناك مؤامرة تطبيق علم اللغات الحديث على اللغة العربية ، وهو علم قامت نظرياته ومستخلصاته على أساس

دراسة واسعة للغات الأوروبية ، وهذه اللغات لها تاريخ وتحديات وطريق ، أما تاريخها فإنها مشتقة من اللغة اللاتينية ولغات أخرى ، وقد كانت فى أول أمرها لهجات عامية ثم استقلت بنفسها تحت تأثير عوامل كثيرة .

أما اللغة العربية فإنها ارتبطت بكتاب منزل أعطاها وحماها وجعلها ليست لغة العرب وحدهم ، وإنما لغة الثقافة الإسلامية العامة .

ومن هنا فإن هذه العبارات المضللة التى تقول إن اللغة العربية لغتنا ونحن أصحابها ، ولنا حق التصرف فيها ، هو قول باطل وغير صحيح ومردود ، ويرده واقع التاريخ ومنطق البحث العلمى ، وربما كان قولاً صحيحاً بالنسبة للغات الأوربية أما بالنسبة للغة العربية فإن الأمر جد مختلف ، ذلك أن اللغة العربية منذ أن نزل بها القرآن فقد أعطاها واقعا وأبعاد مختلفة ، إذ لم تصبح لغة أمة هى العرب فحسب ، بل هى لغة فكر وعقيدة ودين وثقافة لألف مليون مسلم الآن ، ونحن على أبواب القرن الخامس عشر الهجرى اليوم بل ويزيدون

وإن ارتباطها بالقرآن هو وحده الذى حماها من أن تتحول لهجاتها إلى لغات مستقلة ، وأن يقرأ تراثها بقاموس ، وسيظل

الترابط بين المسلمين ولغة الضاد الفصحى ،ـ لغة القرآن ـ قائماً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

كذلك وقف الغزو الفكرى والتغريب فى وجه امتداد اللغة العربية إلى كل مكان ذهب إليه الإسلام ، فقد جرت المحاولات الضخمة فى أفريقيا وجنوب شرق آسيا إلى عدة أمور :

١ ـ تحويل أبجدية اللغات إلى اللاتينية ، وكانت عربية أساسا .

٢ ـ إعلاء شأن اللهجات العامية لحجب العربية الفصحى .

٣ ـ التوسع فى فرض اللغات الأجنبية لغة المحتلين الفرنسيين والانجليز .

وكل هذا قد حال دون تمكن الفصحى لغة القرآن من أن تنتشر مع الإسلام نفسه حينما ذهب ، هذا بالرغم من أن اللغة العربية اقتحمت قواميس اللغات فى الغرب ، سواء فى اللغات الانجليزية أو الفرنسية أو الأسبانية ، وأن عشرات من أسماء المصطلحات العلمية فى اللغات الغربية مازالت عربية وكذلك أغلب أسماء النجوم والكواكب .

ومن حق اللغة العربية أن تأخذ حقها الوافر فى أن تصبح

لغة المسلمين فى كل بلد إسلامى بعد لغته الأصلية ، بعد أن حجبها التغريب والنفوذ الأجنبى أكثر من ثلاثمائة عام عن النماء والامتداد .

كذلك فقد عمد التغريب والنفوذ الغربى الى تعزيز تعلم اللغات الغربية فى البلاد الإسلامية الواقعة تحت نفوذه السياسى أو الحضارى أو الاقتصادى ، وذلك بهدف أن تنتقل مع اللغات الغربية أفكارها إلى الأمة الإسلامية ، وتزاحم مفاهيم الإسلام وقيمه .

ولذلك فنحن فى حاجة شديدة إلى التحفظ على منهج تعلم اللغات من أجل اللغة ذاتها ، ويجب أن يكون تعلم اللغات الأجنبية مقصوداً به خدمة الإسلام ، وأن تكون اللغة العربية وفكرها هو الأساس فى تكوين ثقافة المتعلمين المسلمين ، فالأمم تفكر باللغة قبل أن تفكر بالفكر نفسه .

واللغات الأجنبية ليست مجرد لغات حين تفرض نفسها على الأمم ، ولكنها مواقع لأفكار هذه الأمم الأجنبية ، واللغة العربية ليست لغة أمة فحسب ، ولكنها لغة أمة وفكر ، ومن هنا ينكشف خطأ الذين يظنون أنه فى الإمكان إخضاعها للتطور على النحو الذى يبعدها عن مصدرها الأصيل وهو القرآن الكريم .

وليأس التغريب مـن تجربة اللغة اللاتينية فـى أوروبا التى اختفت وأحلت محلها اللهجات المختلفة ، ليأس من أن هذه التجربة يمكن أن تتكرر أو تحدث فى أفق اللغة العربية والقرآن والإسلام .

كذلك فقد أطلق التغريب دعواه الباطلة والزائفة فى مجال حرب اللغة العربية بالادعاء بأنها لغة صعبة ، ولأنها لا تستعمل فى التكلم إلا قليلا ، ولذلك يجب استعمال العامية للكتابة ، والواقع أن مشكلة اللغة العربية تبدأ من المناهج اللغوية التى وضعها المستشرقون لتحقيق هدفهم الأساسى ، وهو استبعاد الطالب من استيعاب اللغة العربية ، وبعبارة أخرى فقد قسمت اللغة العربية إلى أربعة أقسام متصلة : (القراءة ـ القواعد ـ التطبيق ـ الإنشاء) والهدف هو فصل كل قسم عن الآخر ، وإذا كانت المشكلة فى المنهج فما هو الحل ؟

يقول الدكتور محمود ذهنى "لابد من تغيير هذا المنهج تماماً ، ولابد أن تكون الدراسة موحدة متكاملة بالنسبة لجميع جوانب اللغة ، ومرتبطة أيضاً بعيون الأدب العربى". وبالنظر إلى تدريس اللغة الانجليزية فى مصر نرى أنها تقوم على أساس ملخصات للأعمال الأوروبية الكبرى ، التى تمثل

روائع الأدب الانجليزى ، ولكن بطريقة تتناسب وقدرات الطالب اللغوية والعقلية .

وهكذا نرى أن المؤامرة التى أقامها التغريب لم تتوقف عند حد التنظير ، ولكنها دخلت إلى التطبيق ، وفرضت على بلادنا ومدارسنا .

وكذلك هناك محاولة فرض العامية عن طريق الأفلام السينمائية ، ومحاولة فرض عامية الصحافة .

الفصـــل الثامن

محاولة تزييف تاريخ الإسلام ، وفرض المنهج الوافد على تفسيره

لما كان التاريخ هو روح الأمة النابض القادر على العطاء ، والمنطلق الحقيقى لليقظة والصحوة والنهضة ، عندما تقع الأمم فى أزمات التخلف والاحتواء وسيطرة النفوذ الأجنبى ، فقد كان التغريب حريصاً على تدمير التاريخ الإسلامى الحافل بالمواقف الخالدة ، وتفريغه من نبضه الحى ، وإخراجه من ضوئه اللامع الآخذ بالألباب ، لتفسيره بأسلوب مادى يطفىء أنواره ويحيل ضوءه ظلاماً ، ويجعله حرباً وخلافاً وصراعاً ، حتى لا يستطيع أن يحقق فى قلوب المسلمين قدرته على العطاء ، أو يبعث فى نفوس الناس روح المقاومة والكفاح ، والقدرة على المرابطة وحماية الشعور ، والاستعداد فى مواجهة مؤامرات الغزو والتسلط .

وقد اتسع مخطط التغريب ، فركز على تزييف الحقائق ، وإثارة الشبهات والشكوك واقتطاع النصوص وإخفاء الحقائق على نحو خطير :

أولاً : أعلى التغريب جوانب مسمومة من التاريخ

الإسلامى ، وادعى انها أعمال إيجابية ، وخاصة منها مايتعلق بالحركات التى قام بها خصوم الإسلام لضربه من الداخل « كالقرامطة والزنج والبابكية » وكانت الصهيونية قد عقدت مؤتمراً فى جامعة بلتيمور عام ١٩٤٥ لهذا الغرض ، دعا فيه المؤتمرون إلى إحياء هذه المؤامرات ، وتصويرها على أنها حركات عدل وتقدم .

ثانياً : التشكيك فى الترابط التاريخى والصلة بين سيدنا إبراهيم عليه السلام ، وولديه إسماعيل وإسحاق، وذلك رغبة فى حجب إسماعيل والادعاء بأن ملك إبراهيم قاصر على خلفاء ابنه إسحاق ، وفى ذلك مؤامرة لحرمان العرب والمسلمين من نصيبهم فى ملك إبراهيم وإمامته العالمية .

ثالثاً : إثارة الشبهات فى دوائر المعارف العالمية ، ودائرة المعارف الإسلامية حول مادة (عرب ـ إسلام ـ إبراهيم ـ إسماعيل ـ فلسطين) .

رابعاً : إثارة الالتباس حول العلاقة بين العرب والإسلام من ناحية ، وبين مفهوم العروبة والمفاهيم العنصرية المرتبطة بالوطنية الطبقية من ناحية أخرى :كالمصرية والسورية والعراقية فى محاولة إيجاد فواصل وخلق حواجز .

ولقد كان لهذا التيار أثره البعيد المدى فى ابتعاث صيحات

الدعوة إلى إحياء ماقبل الإسلام ، من فرعونية وآشورية وبابلية وغيرها من دعوات .

خامساً : ما طرحته حركة التغريب مما يطلق عليه تفسير التاريخ الإسلامى بمنهج عصرى ، وسواء أكان هذا المنهج ماركسياً أو صهيونياً أو غربياً فإنه يعتمد اعتماداً أساسياً على المفهوم المادى للبحث ، وفى هذا إفساد لمفهوم التاريخ الإسلامى ، رغبة فى إثارة الشبهات فى النفس المسلمة ، والعقل المسلم ، وخلق أجواء من الانتقاص والاحتقار والاضطراب ، من شأنه أن يقطع الصلة القوية بين الأمة وتاريخها ، وأمجادها التى انتصرت بها على كل محاولات الغزو المتصلة على التاريخ .

سادساً : إثارة مفهوم عنصرى من التفسير للتاريخ ، بتصوير أحداث التاريخ الإسلامى فى صورة نزاع حاد بين العرب الحاكمين ، والشعوب المحكومة من فرس وترك وبربر وغيرهم ، ومحاولة تصور علاقة الموالى بالحكومة الإسلامية على أنه صراع دموى على النحو الذى قام به المستشرقون فى عدد من دراساتهم ، وقد طبق أتباعهم هذا المنهج على حركات القرامطة والباطنية والبابكية بالذات التى صورت على أنها انتفاضة قومية إيرانية .

سابعاً : محاولة تطبيق (المذهب المادى) فى تفسير

الأحداث ، واعتبار أسلوب الإنتاج وصراع الطبقات أساساً وحيداً لهذه الحركات والمظاهر التاريخية ، مهملين كافة العوامل المتشابكة والفاعلة الأخرى ، من سياسية وروحية ونفسية وقومية واقتصادية واجتماعية .

ثامناً : ابتكار فكرة السامية التى نسبت إليها كل أمجاد التاريخ العربى القديم قبل الإسلام ، وسلبه من أصحابه الحقيقيين ، وخاصة إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام وأبنائه وأحفاده ، وإضافة هذا المجد إلى مصدر غامض ليس له سند حقيقى ، ويستمد مصدره الأساسى من التوراة التى كتبها اليهود إبان السبى البابلى ، وهى ليست التوراة الحقيقية المنزلة على سيدنا موسى ، وذلك بهدف إشراك اليهود بالباطل فى أمجاد (الحنيفية) ديانة سيدنا إبراهيم .

تاسعاً : محاولة التشكيك فى رحلة إبراهيم عليه السلام إلى الحجاز ، وإقامة ابنه إسماعيل وأمه هاجر بمكة .

عاشراً : محاولة اعتبار (التوراة) مرجعاً للبحث العلمى ، مع أن شهادات كل علماء الغرب تؤكد أن التوراة الموجودة اليوم فى أيدى الناس من كتابة أحبار اليهود .

حادى عشر : محاولة خلق تصور زائف بأثر اليهود فى

الجزيرة العربية ، وفى الأدب العربى ، ومحاولة إيجاد ترابط بين العرب واليهود ، والقول بأنهما أبناء عمومة ، وذلك كله من محاولات الصهيونية لخداع العرب .

هذه بعض السموم التى يبثها التغريب فى دراسات تاريخ الإسلام لتدميره ، والقضاء على عطائه الحقيقى ، والحيلولة دون تحقيق هدفه .

هذا بالنسبة لوقائع التاريخ ، أما بالنسبة لتفسير التاريخ فقد فرض على تاريخ الإسلام المذهب المادى ، والتفسير الاقتصادى ،والتفسير القومى ،والتفسير السياسى والتفسير الأخلاقى ، والتفسير الجنسى .

والواقع أن الإسلام له منهجه الخاص به فى تفسير التاريخ ، وهو يختلف عن هذه المذاهب جميعاً ، والتاريخ الإسلامى لا يمكن فهمه أو تفسيره إلا على ضوء النظرة الإسلامية للحياة الإنسانية ، وكل تفسير يقدم على غير هذا الأساس فهو ضرب من الخطأ العلمى ، لا يجوز أن يرتكبه باحث جاد ، أو مؤرخ يبتغى وجه الحق وحده .

أما مفهوم الإسلام فى تفسير التاريخ فهو : أن الله تبارك وتعالى قد وضع نظاماً عملياً واقعياً ، يسير البشر فى الأرض على مقتضاه ، ويحاول المسلمون أن يصوغوا واقع الأرض فى إطاره ، ومن ثم فهو يعيش فى كل عمل فردى أو جماعى ، وكل

شعور فردى أو جماعى بمقدار قربه أو بعده من واقع الأرض ، لأنه قابل للتحقيق .

والإسلام هو النظام الوحيد الذى يحقق هذا الانسجام بين قوى الطبيعة ، ويجمع بين الإيمان بالروح والجسد فى نظام الدين والسماء والأرض فى نظام الكون ، ويسلكها فى طريق واحد ، هو الطريق إلى الله .

ويؤكد الباحثون المنصفون أنه إذا صح أن التفسير المادى يمكن أن يكون صالحاً فى تعليل بعض الظواهر التاريخية الكبرى ، فإن هذا التفسير المادى يفشل فشلاً ذريعاً حين يرغب فى أن يعلل وحدة العرب وغلبتهم على غيرهم ، وقيام حضارتهم واتساع رقعتهم ، وثبات أقدامهم ، فلم يبق أمام المؤرخين إلا أن ينظروا إلى العلة الصحيحة لهذه الظاهرة الفردية ، ليرو أنها تقع فى هذا الشىء الجديد ألا وهو الإسلام .

ويقول باحث آخر إن نظرة المسلمين إلى التاريخ نظرة بناءة ، فهم يرون أن البشرية إذا اعتقدت فى تعاليم الوحى - القرآن - فإن إرادتها حينئذ تتطابق مع إرادة الله ..

ومن هنا تخطىء الماركسية فى تفسير التاريخ الإسلامى بمفهوم (صراع الطبقات) وأن الصراع الذى ثار بين المسلمين وبعضهم البعض . والذى اتخذه الماركسيون دليلاً

على صحة دعواهم ، إنما كان صراعاً ذا طابع سياسى ، ولم يكن صراعاً طبقياً تغلبت بموجبه طبقة على أخرى ، أو فئة على أختها .

* * *

وقد حاول التغريب أن يصم التاريخ الإسلام بكثرة الحروب والفتن والمكايد والاضطرابات ، والنظرة الصحيحة تعطى البيان الواضح عن أن هذه الوصمات ليس لها أصل صحيح ، وكل ما فى الأمر أن هناك تفاعلات فى المجتمع الإسلامى ، كانت تأخذ طريقها ، ولابد أن تأخذ طريقها فى هذا المجتمع ، وأن هذه التفاعلات سنة من سنن الله تبارك وتعالى ولن تجد لسنة الله تبديلا ، وهى تفاعلات تحدث فى كل أمة ، بل الأمم الأخرى كانت تتلقاها بعنف أكثر ، مما تلقاها به المسلمون والعرب ، وتاريخ الأمم الأخرى ممزوج بالحروب والفتن والاضطرابات أكثر من التاريخ العربى ، فهذا تاريخ فرنسا وألمانيا منذ الثورة الفرنسية (وهما من أعظم الأمم التى ساهمت فى تاريخ العالم)
فتاريخهما ملىء بالحروب : حرب الثورة الفرنسية ، حرب نابليون ، حرب ١٨٧٠ ، حرب ١٩١٤ ، حرب ١٩٣٩) كل ذلك فى مدى لا يتجاوز قرناً ونصف القرن ، والضحايا التى وقعت فى هذه الحروب تتجاوز أضعافاً مضاعفة ضحايا الحروب فى تاريخنا بأجمعه .

كذلك فقد جرت المحاولات لحشد مجموعة من الأكاذيب والشبهات والروايات الضعيفة مثل : تعاطى الخمر ، وتمزيق أحد الخلفاء للقرآن ، ومؤامراتهم وقتلهم المسلمين الأبرياء ، ولا ريب أن هذه الحوادث لا أساس لها ، وإنما أخذت من كتب القصاصين والشعراء ، وأن الشعوبيين هم الذين حاولوا استخدامها للإساءة بها إلى تاريخنا .

ومن ذلك قولهم إن أبا موسى الأشعرى ، وعمرو بن العاص تآمرا على علي بن أبى طالب تحت عنوان التحكيم ، بينما المرجع الأساسى (العواصم من القواصم) يقرر أن الاتفاق تم بين الاثنين على تثبيت كل فى مكانه ، وإيقاف القتال حتى يجتمع أهل الحل والعقد ، وتقول كتب التاريخ إن عائشة - رضى الله عنها - خرجت لتحارب أمير المؤمنين على بن أبى طالب فى موقعة الجمل ، بينما يقول كتاب العواصم من القواصم إن أم المؤمنين خرجت تصلح بين المتحاربين .

ويقوم التغريب على التناقض ، فيؤلف بين الروايات التى تخدم هدفه ، ويدخل على البحث بفكر مسبق باحثاً عن نصوص يستعين بها .

* * *

كذلك فقد ركزت بعض الشبهات على إثارة الطعن فى الفتح الإسلامى ، وتزييف مفهوم انتشار الإسلام ، بتفسيرات

مادية مضللة ، بدعوى أنها حركة توسعية ، وطلب للطعام ، وإلى غير ذلك من الادعاءات ، والحقيقة أن الفتوحات الإسلامية لم تكن حركة توسعية ، ولا حربا صليبية ضد المسيحية ، وإنما كانت رسالة دعوة لإعلاء كلمة الله ، كذلك فإن انتصار المسلمين وتوسعهم فى الفتح لا يرجع إلى ضعف الدولة البيزنطية ، ذلك أن هرقل كان قد انتصر على الفرس قبل خمس سنوات من الفتح الإسلامى ، وقد أعد العدة لملاقاة المسلمين بنفسه ، وعين أخاه ستودور لقيادة الجيش الذى دمره المسلمون فى أجنادين ، ولا ريب أن انتشار الإسلام فى هذه الفترة القلقة التى لم تزد عن ثمانين عاماً ، قد أدهش المؤرخين الذين قاسوا بالمقياس المادى ، ولم يعملوا حسابا للعقيدة والفداء ، هذا المعنى هو الذى أعطاهم الغلبة والنصر على العدد الكبير وقوة السلاح ، ذلك أن سرعة انتشار الإسلام إنما ترجع إلى أنه كان أفضل نظام اجتماعى وسياسى تمخضت عنه العصور .

إن من أخطر أعمال التغريب أنه قدم تاريخ الإسلام للشباب المسلم على أنه صورة الصراع بين الخلفاء والأمراء والقادة ، وعلى أنه صورة للتضارب بين الفرق والأحزاب ، وكان هناك الإصرار على إبراز زوايا الضعف والخلاف ،

وتجاهل عمل النهضة والتقدم ومعطيات الحضارة الإسلامية والتمدن .

والسؤال هو : لماذا يتخذ هذا الأسلوب بالنسبة لتاريخ الإسلام وحده ، ولا يتخذ فى تاريخ ما قبل الإسلام ؟

وحيثما تنظر فى دوائر المعارف ، بروكلمان ، المنجد ،جرجى زيدان ، فيليب حتى ، تجد هذه الشبهات وهذا الانتقاص ، وتجد تشويه الحضارة الإسلامية ، وتجميع الافتراءات والاتهامات على الإسلام ونبى الإسلام ، ومن هذه المصادر يأخذ مدرسو التاريخ ، وعليها يعتمد أساتذة الجامعات ، ومنهم غير المسلمين والماركسيين والشعوبيين ، وأن هناك اليوم عدداًكبيراً من غير المسلمين يتولى تدريس التاريخ الإسلامى على أنه تاريخ عربى ويدسون أحقادهم ، بينما لا يوجد فاصل حقيقى بين تاريخ العرب وتاريخ الإسلام منذ نزول الإسلام إلى اليوم .

ويجرى التغريب إتهاماً للمسلمين أنهم يرغبون فى الرجوع إلى تاريخ الإسلام ، وأنه تاريخ معوق عن التقدم ، وهذه كلها دعاوى باطلة ، فالمسلمون يعرفون تماماً تأثير تغير البيئات وتطور الزمن ، وليس التاريخ الإسلامى عندهم إلا ضوء كاشف وتجربة سابقة يمكن الانتفاع بها فى بناء جديد قوامه الإسلام وقيمه وأسلوبه عصرى .

ثم هم يفرقون تماماً بين النظام الإسلامى والتاريخ الإسلامى ، فالنظام الإسلامى هو القانون الثابت ، أما التاريخ الإسلامى فهو تجربة التطبيق والممارسة ، وفيها الخطأ والصواب ، وليس خطأ التاريخ فى الممارسة راجعا إلى النظام ، وإنما هو اجتهاد المسلمين ، يتحملون أخطاءه ويستفاد به فى تعديل المسار إلى الوجهة الصحيحة .

وبعد فإننا نؤمن بأن تاريخ الإسلام لا يحاكى أى منهج من المناهج الغربية ، وإنما له منهجه الأصيل المستمد من كيانه وأصوله .

وهو تاريخ يتسم بالتوحيد والطابع الإنسانى ، ولذلك فهو يتعارض مع مناهج التفسير التاريخى التى تقوم على المادية أو العنصرية أو الوثنية ، وسوف يظل تاريخ الإسلام ضوءاً كاشفاً لمسيرتنا وليس عبئاً علينا ، وسوف ننتفع ببطولاته وانتصاراته فى طريق حياتنا .

وسوف نبحث هزائمنا ونلتمس منها العبرة التى تتلخص فى خروجنا على منهج الله .

* * *

الفصـــل التاسع

محاولة تدمير التراث الإسلامى

كانت خطة التغريب فى تدمير التراث الإسلامى بالغة العنف ، فقد اتخذت أكثر من أسلوب وطريق :

أما فى أول الأمر فقد عمد النفوذ الأجنبى إلى الاستيلاء على التراث الإسلامى ، وإخراجه من بلاد المسلمين ، حتى لا تكون لهم القدرة على الانتفاع به فى كتابة تاريخهم ، أو تجديد حضارتهم .

ثم عمدوا إلى ما وصل إليهم فبحثوا عن مختلف الكتابات التى كتبها الشعوبيون والباطنية ودعاة الحلول والاتحاد ، والشعر المكشوف ، فأحيوه وأذاعوا به .

ثم أثيرت الشبهات حول التراث ورميه بالانتقاص بهدف واضح معروف ، هو العمل على قطع حاضر الأمة الإسلامية عن ماضيها ، وقد نشأت نظرية مسمومة تقول بأن الماضى معوق للنهضة ، وأن على المسلمين أن يفصلوا بين حاضرهم وماضيهم .

وحين يثير التغريب هذه الدعوى إنما يتعارض مع الخطة

التى قام بها الغرب فى فجر نهضته ، حين بدأ بإحياء التراث الهلينى والإغريقى ، والأدب اليونانى والرومانى القديم ، بعد أن انفصلت عنه أكثر من ألف عام .

وقد أكدت جميع مصادر الفكر والأدب والتاريخ أن النهضة الأور بية فى مجال الفن والأدب والحضارة إنما ارتبط وجودها بهذا الماضى ، واعتبرته أصلا من أصولها وأساسا للبقاء ، ولم تعتد بأى مظهر من مظاهر الفكر إذا قام منفصلا عن هذه القاعدة المستمدة من التراث .

هذا هو الموقف الذى وقفه الفكر الغربى بالنسبة لتراث قديم مضى وانقضى وتـم الانفصال عنه أكثر من ألف عام فى لغة ميتة متحفية هى اللغة اللاتينية التى انبثقت عنها لغات جديدة عصرية ، فكيف بتراث لا يزال متصـــلا لم ينفصل ماضيه عن حاضره لحظة ، وعن طريق نفس اللغة التى يستطيع القارىء العربى فى القرن العشرين الميلادى أن يقرأ ما كتب بها قبل أربعة عشر قرناً ويتذوقه ويفهمه ، حيث لا يوجد مثيل لذلك فى الفكر الغربى كله ، ولكن هى الدعوة التغريبية الهادفة إلى عزل المسلمين والعرب عن ماضيهم وتراثهم ومقوماتهم .

يقود الغرب هذه الحملة الضارية على التراث التى تحاول أن تصوره بصورة التأخر والتخلف ، وترميه باتهامات متعددة

من قصور واضطراب وتعارض ، ـ وهو من هذا كله براء ـ فى محاولة لهدمه وخلق الكراهية والاحتقار له فى نفوس الأجيال الجديدة .

وقد كذبت الوقائع فى تاريخ الأمم والحضارات دعاوى التغريب فى القول بأنه معوق عن النهضة ، فلا تعارض مطلقاً بين الاتجاه إلى المستقبل والمحافظة على التراث ، بل إننا نعتقد أنه لن تقوم نهضة فى أمة من الأمم بعيداً عن ارتباطها بجذورها وتراثها .

يجب أن نتطلع إلى المستقبل ، وأن نعمل له جاهدين ،وأن نحتفظ فى الوقت نفسه بتراثنا الماضى ماثلا أمامنا لكى نستمد منه القوة والعزيمة .

وخير مستقبل هو ما كان قائماً على الحاضر والماضى على السواء ، أما أن نتنكر للماضى أو ننزع أنفسنا منه فمعناه اقتلاع أنفسنا من تربتنا ، فنخرج منها وقد يبس عودنا وجف مافيه من عصارة الحياة الحقة .

وقد وجدت هذه الصيحة التغريبية معارضة متيقظة وتفهماً لهدفها الضار ، وما تقصد إليه من تسميم المنابع ، كما تأكد ذلك لكثير من المستشرقين ، حتى أشار (هاملتون جب) إلى أنه ليس فى وسع العرب (والمسلمين) أن يتحرروا من ماضيهم الحافل كما تحرر الأتراك ، وسيظل الإسلام أهم

صفحة فى هذا السجل الحافل إلى درجة لا يمكن أن يغفل عنه الساعون إلى إنشاء مثل عربية عليا .

ويقول أحد الباحثين : الغريب أن هؤلاء الداعين إلى نبذ التراث العربى أو إهماله ، إنما يرددون ذلك فى عصر نرى الأمم النازعة إلى حياة جديدة تعمد إلى ثقافتها القديمة فتحييها وتجعلها عنوان مجدها ، وقبلة آمالها ، ففى الوقت الذى تسعى فيه كل أمة نشطة من أمم الشرق والغرب إلى تقديس تقاليدها ، وتمجيد حضارتها ، لا يسع العرب والمسلمون الا بعث تراثها وروحها التى ولدت تمدنها التالد ، فكل من لا ماضى له لا مستقبل له ، والأمة التى لا تعنى روحها لا يمكنها أن تؤدى رسالتها فى التمدن البشرى".

ومن الحق أن يقال إن تراثنا الإسلامى متصل بواقعنا وله فكر متجدد حى ، متجدد ومتحرك فى مجال الحياة والمجتمع ، لم ينفصل ولم يتوقف ، وفضلا عن ذلك فهو ليس إلا واحداً من الأسس الرئيسية للحضارة الإنسانية التى قدمت المنهج العلمى التجريبى ومذاهب المعرفة والاجتماع والسياسة والاقتصاد والنفس والأخلاق والتربية .

والمعروف أن التغريب اليوم يتآمر على التراث الإسلامى لحجبه عن أهله ، حتى لا يعرفوا مصادر علم الغرب التى

أخذوها من الإسلام ، وحتى لا ينتفعوا بتراثهم فى تجديد حياتهم ووصل ما انقطع ، وحتى يكونوا قادرين على تقديم المتشابه والمختلط والمضطرب من تراثهم وحده ، وحجب ما استخرجوا منه النظريات العلمية حتى لا يكتشف نقلهم .

وهناك خطة التغريب فى إعادة كتابة التراث على نحو علمانى مفرغ من جوهره ، على النحو الذى كتبت به دراسات عن السيرة وتاريخ الخلفاء اعتمدت على مصادر غير موثوقة ، وحاولت أن تثير الشبهات وتصور الصحابة وأعلام المسلمين على هيئة سياسيين محترفين .

وقد ركزت حركة إحياء التراث التى قادها التغريب على إحياء التراث الفرعونى ، والإغريقى ، والجاهلى ، والمجوسى الفارسى وتمجيده ، وبعث الأساطير البابلية القديمة ، وإعادة صياغة الوثنيات والفلسفات المجوسية ، والسريانية ، والباطنية ، وإحياء عشتروث وزيوس وباخوس ، وهدم تراث التوحيد الخالص ، والبطولة الإسلامية الباهرة ، والأمجاد القائمة على الكرامة والرحمة ، وإنكار الذات والأخلاق ، وابتغاء وجه الله وحده ، وكانت محاولات التشكيك تدور حول هذا التراث وحده ، وتجرى لإخضاعه للمفهوم الماسونى الوثنى القديم ، حيث يلحق التزييف والتلفيق المتعمد لهذه

البطولات والمعارك ، وإخضاع هذا إلى مقاييس ومفاهيم للفلسفة المادية والعلوم الاجتماعية .

وترمى مؤامرة التغريب كما يقول الدكتور عبد العظيم الديب : « إلى تفريغ التراث الإسلامى من الفكرة والتاريخ والقيم الإسلامية ، وملء هذا الفراغ بعلوم وفنون وآداب لا تمت إلى الماضى بسبب ، وقد أدى هذا الانقطاع إلى غربة الأمة ليضيع منها الطريق ، ثم تجاوز ذلك إلى ما هو أبعد وأخطر ، وهو استعداء أبناء الأمة على تراثهم يعيبونه ويسبونه ، وحينما ينقطع استمرار (تجربة الأمة) ويضيع منها الطريق وتفقد الإحساس بماضيها تنزع تاريخها من ضميرها ، ويزول أثره من مشاعرها ونفسها ، حينئذ تبدأ (الأزمة) » .

إنه منذ حوالى مائة وخمسين عاماً وقيادة الفكر فى يد طبقة منفصلة عن الأمة ، ولقد كانت المخطوطات هى أكبر أوعية التراث ، والتراث يرتبط بمصطلح متداول هو (الإحياء) فالإحياء هو تجديد صور التراث المختلفة ، وأوعيته المتنوعة ، وجعلها فى متناول الأجيال حتى تحيطها بما يجب لها من التقدير والإجلال .

ويعنى (الإحياء) أن نعود إلى ماضينا أو تاريخنا

نستطلعه فندرسه ونعيه ونجعله قائماً بذاكرتنا ، حياً فى نفوسنا ، وعنده سيكون أثره فى واقع حياتنا تلقائياً سارياً .

لقد شوه الاستشراق علومنا وفكرنا ، إن كتاب ألف ليلة ، وكتابات المعتزلة وإخوان الصفا هى الأعمال التى يمجدونها فى التراث ، ويظهرونها لنا ، ويزعمون أنها هى التيار العقلانى ، ثم فجأة ينقلوننا إلى الحلاج ، والسهروردى ، وابن عبد القدوس ، وابن المقفع ، وإلى الزنادقة .

وتدهش كيف اختاروا الذين قتلوا بسبب الزندقة جميعاً وكتبوا عنهم ، وكتبوا عن الخرمية والبابكية والقرامطة بتوسع ، ووصفوهم بأنهم دعاة العدل ، ثم راحوا يلوون أعناق النصوص ويسخرونها ليجلبوا لأمتنا أوزاراً كثيرة ، وليس أصدق فى هذا المجال من مقولة الدكتور محمود قاسم : « انهم نقلوا المسلمين إلى أرسطو ونقلوا أنفسهم وقومهم إلى منهج المسلمين » .

ومن هنا فنحن فى حاجة إلى تنقية التراث الإسلامى من

مفاهيم الباطنية ، والشعوبية ، ومن الإسرائيليات على النحو الذى قام به أسلافنا ، حين ترجمت الفلسفات اليونانية ، بالرد على الشكوك والشبهات التى أثيرت بنقل سموم علم الأصنام وغيره من وثنيات الرومان واليونان .

إن تنقية التراث وتحقيقه تعتبر من أخطر الأعمال التى يجب التصدى لها ، لأنها تسهم فى تكوين عقل المسلم الصحيح ، وإن أعداء الإسلام كما يقول الدكتور سيد رزق الطويل : عندما فشلوا فى التصدى له بقوة السلاح ، حاولوا الكيد له بطريق الدس والتزييف ، ووضع الأحاديث وتحريف حوادث التاريخ .

الفصـــل العاشر

محاولة فرض مفهوم وثنى للفن

حرص التغريب إلى إذاعة مفهوم الفن اليونانى بطابعه المادى والوثنى ، بجعل الأولوية للتماثيل المجسمة إعجاباً بالأجساد ، وعبادة لصور الجمال ، ومظاهر القوة والإباحة ، مما يتعارض مع مفهوم الإسلام للفن.

فالإسلام لا يقر عبادة الجسد على النحو الذى عرفه اليونان فى تقديم القرابين ، وكل ما يتصل بذلك من أساطير الحب والجمال عند الإغريق ، وهى حافلة بالمباذل لا تجد فى أفق المجتمع الإسلامى قبولاً .

كما أن الإسلام لا يقر فكرة الصراع بين الآلهة والإنسان ، أو بين القدر والإنسان على النحو الذى يقوم عليه الفن الغربى ، ولا يؤمن المسلم بأن الإنسان يثبت ذاته بمصارعة القدر ، ولا بأن البطل الصالح يتحطم على يد القدر ، وكل هذه المعانى مستمدة من فكرة الخطيئة الأصلية.

والمسلم لا يؤمن بتعدد الآلهة ولا بتجسيد الإله فى صورة وثن حسي ملموس كالتماثيل العديدة ، كما أن المسلم لا يؤمن

بعبادة الطبيعة أو المحسوسات ، ومن هنا فإن مفهوم الفن الغربى الذى طرحه التغريب عن طريق المسرح والقصة والأغنية والأوبرات وغيرها مرفوض تماما ، ولا يمثل وجهة النظر الإسلامية فى الفن ،

كذلك فإن الإسلام لا يقر تجسيد البطولة فى صورة مادية ، ليس فقط حفاظاً على مفهوم التوحيد من خطر الاتصال بالتماثيل والأصنام التى كانت تمثل عبادات الوثنية فيما قبل الإسلام ، ولكنه ارتفاع بالنفس الإنسانية من أن تتمثل فى مفهوم مادى ، بينما جاء الإسلام محرراً للبشرية من التجزئة بين الماديات والمعنويات .

والفنان المسلم له طابعه المبدع متحرراً من الخضوع للمذاهب الوثنية ، التى تقول بتقليد الطبيعة أو التفوق عليها ، ولذلك فهو قد طرق آفاقا أخرى غير هذه الآفاق ، فأوجد أنواعاً من الخطوط والدوائر والزخارف والوحدات المتشابكة والمتداخلة .

إن أبرز مفاهيم الإسلام يقوم على التوازن بين الروح والمادة وتكاملهما وتقديم الخلقى على الجمالى ، وتدور المفاهيم كلها فى دائرة التوحيد والحق والعدل والإيمان بالله تبارك وتعالى ، وتتخذ من الأخلاق طابعاً واضحاً وإطاراً شاملاً .

وأخلاقية الفن الإسلامى التزام أصيل صادق لا تنفك عنه الفنون الجميلة والآداب ، ويجعل الإسلام الأدب والفن أخلاقيا وصادقاً فى نفس الوقت ، ولذلك لا يقر الإسلام مفهوم (الكشف) فى الفنون والآداب ، ولا التصوير القائم على الإباحة ، ويرتفع عنه ويتسامى ، ذلك لأن هذا الإتجاه إلى الكشف والإباحة فى الأداء الأدبى والفنى يتعارض مع طبيعة النفس الإنسانية ومزاجها الفطرى وذاتيتها القائمة أساسا على الإيمان بالشرف والعرض ، وإعلاء شأن الخلق والعفة ، ورعاية الأسرة التى تنحرف عن الأصالة وتضطرب بانحرافها عن هذا المنهج .

وهكذا يرفض الفن الإسلامى مفهوم أرسطو القائل بأن جمال الأدب لا يستند إلى الأخلاقية .

والفن فى منظور الفكر الإسلامى أداة تجميل الحياة ، ووسيلة للإسعاد الروحى والنفسى ، حيث يحرر الإنسان من أهوائه وغرائزه ويدفعه فى نظرة حرة وصادقة إلى فهم الكون والوجود ، والنظرة الصحيحة للفن أن يقوم على الضوابط ، وإن محاولة تحرير الفن من كل قيد لا تحقق عنصر الجمال ، وأن الحرية المطلقة ليست هى الجمال ، وأن الضوابط فى الفن هى روح النظام .

ومعنى هذا أن النظرية الجديدة فى الفن المطروحة بقوة فى مجال الفنون والآداب العالمية هى نظرية تعارض الفطرة والذوق الإنسانى بصفة عامة ، قبل أن تعارض مفهوم الإسلام نفسه ، ولا شك أن نظرية إطلاق الفن من كل القيود هى نتاج من آثار الوثنية الدينية فى صورها المتعددة ، كذلك فهى أثر من آثار الفلسفة الماسونية التى أنشأتها الصهيونية العالمية فى عصر التنوير الأوروبى .

ومن هنا يتبين مدى الخطر الذى وجه إلى الإسلام عن طريق مفهوم وثنى للفن ، فى مواجهة مفهوم الإسلام الذى يقوم على أساس أنه عنصر من عناصر الفكر ، يتكامل مع الأدب والاجتماع والأخلاق والدين والحضارة ، وهو فى الإسلام له طابعه الأصيل الواضح المباين لمفهوم الفن فى العقائد والحضارات الأخرى ، قوامه الأخلاق وطابعه التوحيد ، يتسامى بالغرائز ويرتفع بالنفس الإنسانية إلى الكمال دون أن يبتعد عن الواقع .

والفن فى نظر الإسلام أداة لتجميل الحياة ، ووسيلة الإسعاد الروحى والنفسى بتحرير الإنسان من عالم الغرائز والأهواء ، وإطلاقه فى نظرة حرة إلى الكون والوجود ، يعرف عن طريقها قدرة الله تبارك وتعالى وعظمته ، ويزداد به إيمانا ، غير أن النفوذ الأجنبى الذى أظل البلاد الإسلامية ،

وحمل لواء تغريب هذه الأمة وفكرها ، حاول أن يزيف مفهوم الفن العربى الإسلامى ، بإدخال مفاهيم الوثنية والمادية التى عرضها الفن فى الغرب ، فقد كان الفن اليونانى بطابعه المادى والوثنى يجعل الأولية للتماثيل المسيحية إعجاباً بالأجساد ، وعبادة الصور والجمال ، ومظاهر القوة ، ولكن الفن الإسلامى مستمداً من مقوماته الأساسية يُجعل البيان والشعر والأدب فى مقدمة الفنون . الكلمة البليغة والفكرة الموحية وذلك انتقالا بالإنسان من عالم المادة إلى عالم الفكر فالتأمل أوسع العوالم ، والتفكر فى خلق الله تبارك وتعالى أعظم معطيات العقل والروح ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَايَسْطُرُونَ ﴾

ولذلك فإن رائد الفن فى الإسلام (البيان) الذى يتمثل فى أسمى صورة فى القرآن الكريم ، وبذلك دفع الإسلام الفكر البشرى إلى الأمام ، انتقالا من مفهوم الماديات إلى مفهوم المعنويات ، وسلك المعنويات والماديات فى إطار جامع متكامل ،

وبذلك حرر البشرية من مفهوم المادية الخالصة التى تقدس الجسد والغرائز والوثنيات ، وتقيم لها المهرجانات والطقوس ، وكذلك يرمى هذا المفهوم الإسلامى إلى دفع البشرية إلى الانتقال من تجسيد البطولة فى صورة مادية إلى تكريم عمل الإنسان نفسه .

وبالجملة فإن الإسلام يقف من مفهوم الفن الوافد الذى أذاعه التغريب موقفاً حاسماً فى النقاط الآتية :

ـ لا يقر الإسلام ما يسمى بالصراع بين الآلهة والإنسان ، أو بين القدر والإنسان .

ـ لا يؤمن المسلم بأن الإنسان يثبت ذاته بمصارعة القدر والآلهة ، ولا أن البطل الصالح يتحطم فى يد القدر والآلهة .

ـ لا يؤمن المسلم بتعدد الآلهة ولا تجسيد الآلهة فى صورة وثن حسى ملموس كالتماثيل العديدة فى العقائد الغربية .

ـ المسلم لا يعبد الجسد ولا أى نوع من العبادات الوثنية التى تقدم لها القرابين ، وكل مايتصل بذلك من أساطير الجسد والجمال عند الإغريق وهى حافلة بالمباذل .

ـ المسلم لا يؤمن بعبادة الطبيعة أو المحسوسات ، ولا يقر تجسيد البطولة فى صورة مادية .

* * *

الباب الرابع

مواجهة أخطار التغريب

الفصـــل الأول:

مواجهة أخطار التغريب .

الفصل الثانـي:

نظريات مسمومة تحاول تغيير ذاتية الإسلام وأصالته .

الفصل الثالث :

التحرر من المسلمات الباطلة .

الفصـــل الأول

مواجهة أخطار التغريب

أخطار ثلاثة يجب أن يتحرر منها الفكر الإسلامى :

(١) قانون نابليون

منهج دنلوب

(٣) الداروينية

ثلاثة أخطار واجهت اليقظة الإسلامية منذ وقعت الغزوة الاستعمارية التى قادها الغرب ، والتى فتحت الطريق أمام التغريب والغزو الفكرى ، سواء عن طريق منهج الغرب أو الماركسى أو الصهيونى ، ولا تزال آثارها قائمة حتى اليوم بالرغم من المراحل التى قطعها المسلمون فى سبيل مقاومة الاستعمار السياسى والعسكرى والاقتصادى : تلك الأخطار هى :

أولًا : قانون نابليون :

فقد فرض على المسلمين بديلًا لشريعتهم الإسلامية التى عاشوا فى إطارها منذ بزغ فجر الإسلام حتى حجبها النفوذ

الأجنبى ، فأقام نظاماً ربوياً فى مجال الاقتصاد ، وقوانين تفسح الطريق أمام تحلل الأسرة واضطرابها ، وشيوع الرذيلة فيها لأنها لا تحكم ضبط العلاقات بين الرجل والمرأة ، فهى تبيح جرائم الزنا وهتك العرض ، وتضع لها إجراءات بعيدة الأثر فى اضطراب المجتمع الإسلامى ، والاستهانة بالعرض والبكارة ، وفتح باب الشر فى مجال المسرح والرقص وعلب الليل ، وبذلك أزيلت الفوارق العميقة بين المرأة المسلمة العفيفة وبين بائعات الهوى ، وغلبت مفاهيم الأزياء الوافدة ، والقصص الجنسى بما أحدث شعوراً نفسياً عميقاً فى المجتمع .. بأن مسائل العرض والشرف والحدود القائمة فى علاقات الرجل والمرأة لا أهمية لها ، بل صارت من بعد موضع السخرية ، وغلبت مفاهيم تقول بالتجربة قبل الزواج ، وتقول بكسر قوامة الرجل على المرأة بعد أن زارت مصر كاتبات غربيات ، وكتاب يدعون إلى الوجودية وحرية العلاقة الجنسية ، ومن التقريبيين من دعا إلى أن تقاوم سلطان الرجل وتفرض نفوذها ، وجاءت القصص والمسرحيات المسلسلات لتفرض نوعاً من الحوار الهابط الذى لا يحترم رجولة الرجل ولا أنوثة المرأة ، ولا علاقات الرجل والمرأة ، أو علاقات الآباء والأبناء .

وقد بلغ هذا الاتجاه الخطير مداه نتيجة (قانون نابليون)

الذى كان بعيد الأثر فى إفساد المجتمع الإسلامى بعد توقف الحدود الإسلامية ، بما فتح باب السرقة والربا والاختلاس ، فتكونت ثروات من مصادر غير أصيلة واضطرب (الميزان)

الذى أنزله الله تبارك وتعالى للتعامل بين الناس ، وغلب التطفيف وانتقاص عمل العاملين ، والسخرية بالمتمسكين بالحق ، واضطرب مفهوم الأخلاق الإسلامى الذى كان يجب أن يسود المعاملات التجارية ، والاقتصادية والاجتماعية ، ونشأت نظرة إلى القيم والمقومات والأعراف مختلفة تماماً عن قيم الإسلام ونظرته إلى العلاقات الاجتماعية ، حيث تبدو جرائم الزنا والشذوذ الجنسى وهتك الأعراض ، وكأنها مسائل عادية بينما هى فى مفهومنا الإسلامى أمور خطيرة ، وحيث لا يهتم التغريبيون بمسائل الجنس وشئون العرض ، ولا يرون للحياة الاجتماعية السليمة تقديراً ، بل تشوب حياتهم عورات ، منها : صديق العائلة وتبادل الزوجات وهى أعاصير فاسدة طالما ألمت بمجتمعنا .

نحن المسلمين ننظر إلى ذلك كله نظرة خطيرة ونقيم للعرض والشرف والغيرة مقاماً كبيراً ، وقد فتحت هذه المحرمات فى مجال التقاضى بابا خطيراً من إلباس الباطل ثوب الحق ، وتدخل الوكلاء والمحامين ، وإفلات المجرم من العقوبة ، وضياع الحقوق على أصحابها وقد استفاد الاستعمار كثيراً

من هذه المؤامرات ، فقد وجد فيها أولياؤه الذين يخدمون غاياته منفذاً إلى الهروب من العقاب .

وفى خلال هذه المائة عام سيطر (قانون نابليون) على البلاد الإسلامية ، وحجبت الحدود والشريعة والنظام الإسلامى الاقتصادى واضطرب المجتمع خلالها اضطرابا شديداً ، ولن يستطيع المجتمع الإسلامي أن يسترد وجوده الحقيقى إلا إذا طبق منهج الإسلام الأصيل فى العلاقات الاجتماعية والمعاملات التجارية .

ثانياً : منهج دنلـــوب :

وكان منهج دنلوب فى التعليم وتربية الأجيال من أخطر المؤامرات التى فرضت على البلاد العربية والإسلامية (وفى كل بلد دنلوب على نفس أسلوب تدمير مقومات المجتمع) وقد عمد دنلوب فى مجال التربية والتعليم وتكوين الأجيال من إنفاذ ذلك المخطط الذى طبقه فى هدم روح الإسلام ، وانتزاعها من المناهج والمخططات الخاصة بالتاريخ واللغة والثقافة والعقائد إلى عدة غايات .

أهمها : تخريج أجيال تحمل فى أعماق مشاعرها ذلك الإحساس العدائى للأديان جميعا ، بروح مادية مجردة من

المشاعر الروحية ، فإذا لم تكن هذه الأجيال منكرة للعقيدة الدينية فهى مزعزعة الإيمان على الأقل بالقيم الربانية ، وقد شهد كثير من الباحثين التربويين أنه صاغ المواد فى دراسة التاريخ والمطالعة بروح معادية للوجدان الدينى ، وبطريقة يخرج منها التلميذ والطالب وهو يعادى روح الدين ينفر من كل مايذكره به ، وكان هدف دنلوب تحطيم قوة العقيدة فى نفس الأجيال ، حتى لا تتماسك فى وجه الاحتلال الأجنبى ، وإزاء مغرياته ، وبذلك فتح صفحة سوداء شديدة السواد ، وتخرجت أجيال كثيرة ، وفى أعماق مشاعرها الاعجاب بالغرب وبالمستعمر ، ورغبة إلى تقليده ، وكراهية للفكرة الإسلامية ، واحتقار لتاريخها ولغتها وعقيدتها ، جريا وراء سراب خادع ، وبذلك كان لهذه الأجيال أثرها البعيد فى التبعية والموالاة للنفوذ الأجنبى ، وتأخير النهضة واستبقاء هذا النفوذ ، بل إنه فتح الباب واسعاً أمام تلك التيارات التى ألمت بالمسلمين من بعد ، فلولا هذا الاتجاه التغريبى ما فتحت الأبواب من بعد أمام الماركسية ، وأمام سموم الفكر التلمودى فى مفاهيم فرويد وماركس ودوركايم وسارتر ، وما ألم بالفكر الإسلامى من مذاهب الوجودية والماركسية ، والتفسير المادى للتاريخ ، والمدرسة الاجتماعية ، ومايتصل بالفلسفة المادية والوثنية والاباحية ، التى تفشت فى الأدب والفكر والثقافة ، وما طرحت

من مفاهيم خطيرة فى مجال الاجتماع وعلوم النفس والأخلاق والتربية .

وإذا كان دنلوب قد مضى فإن آثاره مازالت قائمة وهى التبعية والولاء للأجنبى فإذا كان العرب والمسلمون قد انصرفوا عن الإعجاب بفرنسا وبريطانيا فانهم أصبحوا يعجبون بشعوب أخرى وبفكر آخر وافد أشد خطراً ، ويؤمنون بالحضارة الغربية وهى تمر بأسوأ مراحلها ، وأشد حلقاتها اضطرابا ، وقد علت صيحة أزمة (الإنسان الحديث) واضطراب المذهبين : الرأسمالى والاشتراكى ، والدعوة اليائسة إلى منهج اقتصادى عالمى جديد .

هذا الشعور بالانتقاص أمام النفس وإعلاء الغريب والأجنبى إنما كان بعض آثار (دنلوب) .

ولكن الإسلام يدعو المسلمين إلى الخروج من هذه الدائرة المغلقة ، إلى دائرة التحرر من تبعية الغير ، أو عبادة الغير ، وأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، فقد انتهى عهد العبودية للدولة أو للقيصر المدعى الالوهية ، وانتهى عهد العبودية للوثنية فى أية صورة كانت .

وقد حرر الإسلام أهله وأتباعه من العبودية لغير الله تبارك وتعالى ، ومن الاعتزاز بغيره ، ومن الخضوع لغير الله

والإيمان بسيادة الإنسان المسلم الذى يملك أصفى عقيدة وأنقى مذهب وأكرم منهج فى ضوء التوحيد الخالص القائم على العدل والرحمة والإخاء الإنسانى ، والذى يقيم المجتمع الإسلامى الربانى والحضارة التى تجعل خيرها للإنسانية كلها ، لا تقصرها على جنس بعينه ، أو أمة أو عرق أو لغة فهو دين البشريه جاء للعالمين جميعاً حتى تقوم الساعة .

ولا يزال خطر المنهج العلمانى فى التعليم بعيد الأثر فى تأخير النهضة ، ولا يزال يقف عقبة فى وجه الصحوة الإسلامية ، وقد علت الأصوات الواعية منذ وقت بعيد إلى إعادة النظر فى مناهج التعليم ، وإقامتها على منهج التعليم ، ليس بوضع مادة الدين فحسب وهى مسألة لا تحقق شيئاً إلا إذا كان مفهوم الإسلام هو القاسم المشترك الأعظم فى جميع مناهج التعليم ، حتى علوم الكيمياء والطب والفلك والتكنولوچيا ، وذلك لتحرير هذه العلوم من مفاهيم النفوذ الأجنبى ، التى لا تزال تفرض أن يكون تعليم العلوم باللغات الأجنبية ، ولا ريب أن قيام الحضارة الإسلامية الجديدة يتطلب أن تتحرك العلوم كلها فى إطار مفهوم الإسلام ، الذى لا يقصر معطياتها على الشعوب البيضاء ، ويحول بين الشعوب الملونة وبين أسرار العلم والتكنولوچيا ، لتظل مراكز للاستهلاك ، ومصادر للخامات دون أن تمتلك إرادتها فى

تصنيع ثمرات أرضها وثرواتها وخاماتها ، ولتظل تجرى فى فلك الرأسمالية العالمية مع تجاهل عناصر جديدة تدخل أفق العالم الإسلامى فى هذا العصر ، وهو امتلاكه للثروة والطاقة والتفوق البشرى مقدمة لصناعة حضارة التوحيد مجددة ، بعد أن توقفت فترة عن العطاء ، وقد بدت حاجة المجتمع البشرى إلى الإسلام وعقيدته ومفاهيمه ونظامه الاجتماعى والاقتصادى على النحو الذى كشف عنه الباحثون المنصفون على مدى تاريخ يمتد أكثر من قرن من الزمن على أيدى درابر وجوستاف لوبون وكارليل والدكتورة هونكه وبوكاى وأخيراً جارودى .

ثالثاً : الداروينية :

وتأتى نظرية الداروينية لترسم أخطر تحد واجه الفكر الإسلامى فى العصر الحديث ، وهى النظرية التى تخالف بل وتعارض نظرية الخلق كما جاء بها القرآن الكريم ، وهى نظرية ما كان يمكن أن يكون لها أى وزن لولا أن هناك قوى خطيرة احتضنتها ، ووسعت دائرتها ،وحاولت استغلالها فى مجال النفوذ الأجنبى المفروض على المسلمين ، وفى كل مرحلة من مراحل البحث العلمى تظهر حقائق تطمس هذه النظرية ،

وتكشف فسادها ، عن طريق البحث العلمى نفسه ، وعن طريق الحفريات التى أكدت ما جاء به القرآن من استغلال خلق الإنسان واستغلال خلق الأنواع .

ولكن هذه القوى التغريبية مازالت تعمل فى قوة لتجديد المغالطات والأكاذيب ، لتستمر هذه النظرية فى خداع أكبر عدد من الناس ، حيث تقوم على أساسها فلسفات مادية خطيرة ، منها : النظرية الماركسية ذاتها ، ومن حيث أنها تقدم مفهوماً زائفاً للإنسان ، حيث تصوره بأنه حيوان ، ومن حيث تركيز مفاهيم الاستعمار التى تقرر أن البقاء للأقوى ، والهلاك للأمم الضعيفة .

نعم ، إن هناك استماتة من قوى الباطل فى سبيل مقاومة الحقيقة التى ظهرت ، وسوف تظهر يوماً بعد يوم حتى تكشف كل صور الضلال ، والمعروف أن (دارون) قدم نظريته على أنها فرض من الفروض ، وأعلن أن هناك حلقة مفقودة لم يصل إليها ولم يستطع العلماء الوصول إليها بعد مائة عام ، وإنما الذى وجده العلماء فى الأحافير هو إنسان كامل بقامته الكاملة منذ ملايين السنين ، لا صلة له بالقرد ولا بأى سلالة من السلالات .

ولعل الاكتشاف العلمى الذى هدم نظرية دارون من

أساسها ، هو اكتشاف (وحدات الوراثة) التى أثبتت استحالة تطور الكائن الحى وتحوله من نوع إلى آخر ، فقد تبين أن هناك عوامل وراثية كامنة فى خلية كل نوع تحتفظ له بخصائص نوعه ، وتحتم أن يظل فى دائرة النوع الذى نشأ فيه لا يخرج قط من نوعه ، ولا يتطور إلى نوع جديد ، هذا الاكتشاف العلمى هو الذى هدم نظرية دارون وأقبرها وقضى عليها ، وهو ما أشار إليه الفيلسوف برتراند رسل فى كتابه (النظرة العلمية) حين قال : لقد أخطأ دارون فى قوانين الوراثة حتى غيرتها قوانين مندل تغييراً كليا ، وقد تأكد لنا بالدليل العلمى القاطع فساد وزيف هذه النظرية .

ولقد وضح من بعد أنه لم يقبل نظرية دارون إلا العلماء الملاحدة الذين لا يؤمنون بالخالق جل وعلا ، فضلا عما أعلنه علماء هذه المادة ، وفى مقدمتهم : (والاس) إنه من المستحيل أن يكون الإنسان قد تم تكوينه على طريقة التطور والارتقاء ، حيث أن الارتقاء بالانتخاب الطبيعى لا يصدق على الإنسان .

ولقد حرص التغريب أن يطرح مفاهيم دارون وسمومه منذ

وقت مبكر ، وكان الهدف من ذلك هو إعلاء الفلسفة المادية ، وفتح الطريق أمام الماركسية والوجودية والفرويدية وغيرها من مفاهيم .

ولقد تصدى علماء المسلمين للنظرية وكشفوا زيفها جملة وتفصيلا ، مستلهمين روح القرآن .

وفى مقدمة هؤلاء: جمال الدين الأفغانى ، وفريد وجدى والمودودى ، ولكن القضية التى لا تزال فى حاجة إلى إعادة النظر هى : تناقض النظرة فى مجال التعليم ، من حيث أنه لا تزال نظرية دارون تدرس فى المدارس فى أنحاء العالم الإسلامى كله على أنها حقيقة علمية ، بينما هى فى نظر العلماء جميعاً فرض ثبت عدم صحته .

الفصـــل الثانى

نظريات مسمومة

تحاول تغيير ذاتية الإسلام وأصالته)

حاول التغريب أن يقدم مجموعة من النظريات الوافدة ويركز عليها ، عن طريق البث الدائم فى الصحافة والمدرسة والمسرح ، وكل وسائل الإعلام ، وعن طريق أسماء براقة خادعة ، وهى فى مجموعها تعارض مفهوم الإسلام الأصيل ، بهدف احتواء الأجيال الجديدة للفكرة الغربية ، التى تقوم على المادية والإباحية ، والتحلل من المسئولية الفردية ، والالتزام الأخلاقى ، بهدف تحطيم الضوابط والحدود التى يقوم عليها بناء المجتمع الإسلامى .

الفكـــرة الأولـــى :

فكرة مسئولية الآباء والأمهات فى تشكيل أبنائهم وبناتهم ، وهى دعوة ترمى إلى قطع العلاقة بين جيل الآباء والجيل الجديد ، ومحاولة خلق روح من الكراهية بينهما ، ووضع الحواجز ، وتصوير وجهة نظر الآباء فى الأمور بمثابة وصاية أو قسر أو محاولة للتسلط أو فرض الإرادة .

أثارت هذه الدعوة المسمومة دعاة المادية لتخريب الأسرة ، وهدم العلاقة بين الأجيال ، وإثارة روح التمرد بين الشباب ، فضلاً عن فرويد وسارتر وغيرهما ممن يدعون الشباب والفتيات إلى التحرر من سلطان الآباء والأسرة بدون تجربة ليتخبطوا فى الحياة ويفقدوا طريقهم .

الفكـــرة الثانيـــة :

هى تلك المحاولة بالقول بأن شبابنا ليس إلا جزء من الشباب العالمى ، وهى محاولة لتبرير انحرافات الشباب ودفاع عن هذا الانحراف ، ذلك أن شبابنا يعيش فى المجتمع الإسلامى الذى يقوم على دعائم وقيم وضوابط من شأنها أن تفرق بينه وبين تلك التيارات الفاسدة والمسمومة ، التى تطوف بالمجتمع الغربى .

الفكـــرة الثالثـــة :

هى ذلك الدفاع المتحمس عن المرأة فى أوضاعها المتردية ، وذلك التصايح الدائم لدفعها إلى أن تغرق فى أوحال المجتمعات ، وذلك فى محاولة للتغرير بالمرأة المسلمة بالحديث عن حقوق لها غير ما رسم لها الإسلام الذى أعطاها كل الحقوق وهو مالم تستطع دول كبرى إلى اليوم الوصول إليه .

الفكـــرة الرابعـــة :

محاولة إعطاء بعض الشخصيات المضطربة والمهزوزة والمشكوك فى جهادها ونضالها وبطولتها وآثارها شىء من التبرير والإعلاء فى نفس القارىء الحديث ، الذى لم يعايش هذه الأسماء اللامعة ، ولم يتعرف إلى دورها الخطير فى حياة المجتمع من قبل ، فإن هناك محاولة دائمة لإعادة إحياء هذه الشخصيات ، لأنها تحمل مفاهيم التغريب ، وكانت حلقة من حلقاته .

الفكـــرة الخامســـة :

هى تلك المحاولات الباطلة التى ترمى إلى تفسير الإسلام تفسيراً خاطئاً ، والتى تثير الشبهات حول حقيقة الإسلام وخاصة مفهومه الأصيل بأنه منهج حياة ونظام مجتمع ، وذلك بإعادة كتابات مسمومة رد عليها علماء الإسلام وأوسعوها نقداً وتفنيداً ، وكشفوا زيفها سواء أكانت متصلة بالفكر اليونانى أو الغربى أو الماركسى أو الشعوبى .

ولقد كان علينا أن نفهم الإسلام فهماً صحيحاً فى ضوء محاولات التغريب ، فليس دينا بمعنى اللاهوت الغربى ولكنه نظام اجتماعى كامل .

والإسلام ليس دينا كسائر الأديان ، ولكن حركة اجتماعية واسعة تشمل الاعتقاد والدولة والنظم الاجتماعية والأخلاق ، ومعنى الإسلام : إسلام الوجه لله ، وهو إسلام خضوع وانقياد لله وحده ، والدين من عند الله ، وليس ظاهرة من الظواهر الطبيعية ، أو من نتاج الأرض كما يقول الملاحدة ، ودعاة المدرسة الاجتماعية الغربية ، وليس هو أفيون الشعوب كما يقول ماركس .

وميزة الإسلام أنه يؤمن بجميع الأنبياء والرسل والكتب التى أنزلها الله تبارك وتعالى ، وتنزيه الرسالات السماوية من شوائب الوثنية ، والإسلام لا يستمد تسميته من جنس كاليهودية ، ولا من نبى كالمسيحية ، ولكن اسمه يعبر عن جوهره وفكرته الأساسية كعقيدة .

وقد جاء كل نبى إلى أمته خاصة ، أما النبى محمد ـ ﷺ ـ

فقد جاء للعالمين وللإنسانية جمعاء ، وهو خاتم المرسلين ، ودينه خاتم الأديان ، وكتابه خاتم الكتب المنزلة .

جاء الإسلام لتحرير البشرية من الفكر الوثنى الذى تراكم من خلال الفلسفات ، وتجاوزات مفاهيم الرسالة السماوية ، حتى حجب مفهوم التوحيد الخالص ، ولذلك فقد عرض القرآن لقضايا الوثنية والتعدد ، وعبادة الأفراد والشمس والقمر والنجوم ، وكشف زيف هذه المفاهيم .

وفى العصر الحديث جاءت دعوات الوطنية والقومية والليبرالية والديمقراطية والماركسية والاشتراكية ، بهدف إخراج المسلمين من منهجهم الربانى الأصيل ، وهدم نظرتهم الربانية الجامعة ، وعمل التغريب على تزكية هذه الدعوات والمحاولات من خلال الفكر المادى والماسونى والوثنى والشعوبى ، وإحياء الفرق القديمة ، والمفاهيم الوثنية والمجوسية التى قضى عليها الإسلام .

ولقد كانت الصهيونية والشيوعية والتبشير الغربى وراء إذاعة هذه الدعوات وهى كلها ترمى إلى هدف واحد هو :

تغريب الإسلام وتغريب المسلمين ، وهذه هى الفريضة التى تتطلبها هذه المرحلة من حياة الأمة الإسلامية ، وهى : تحرير البشرية من الفكر الوثنى والمادى والإباحى على النحو الذى قام به مفكرو الإسلام عند ترجمة الفلسفة اليونانية ، واستشراء سموم الفكر البشرى .

ومن هنا وجب تصحيح هذه المفاهيم ، وكشف هذه المخططات .

إن الفكر الغربى المقدم للمسلمين الآن فيه زيف كثير .

إن ماركس يفسر المحرمات والحضارات والتاريخ عن طريق الطعام .

إن فرويد يفسر المحرمات والحضارات والتاريخ عن طريق الجنس .

إن دوركايم يعارض الفطرة وينكر الأسرة .

إن مفهوم التفسير المادى للتاريخ يحمل الإنسان على أن يقنع عند حاجات الجسد وحدها دون التطلع إلى أفق أوسع .

ونظرية فريزر فى علم مقارنات الأديان ترى أن الدين تطور

من عبادة الأب ، إلى عبادة الطوطم ، إلى عبادة قوى الطبيعة ، إلى عبادة الأفلاك ، إلى عبادة الأصنام ، حتى وصل إلى عبادة الله وحده .

وهذا هو مايتشبث به العلمانيون حين يقولون إن البشرية كانت وثنية متعددة ، ولم تعرف التوحيد إلا باليهودية والحقيقة الإسلامية الناصعة أن التوحيد هو دعوة جميع الأنبياء منذ نوح عليه السلام ، إلى محمد - ﷺ - وأن الوثنية كانت تظهر فى فترات ، فتأتى رسالة السماء على يد الأنبياء فتقضى عليها إلى حين .

وقد مكن التغريب لهذه النظريات الزائفة وجعلها (علوماً) تدرس فى الجامعات .

وقد كان حقاً علينا أن نعرف مدى سعة الفوارق بين مفاهيم الإسلام ، ومفاهيم الغرب ، فمن مفاهيم الغرب التى لا يقرها الإسلام :

أولاً : الانشطارية ، وقيام الفلسفة المادية أساسا ، بينما يقوم الإسلام على الجمع بين المادة والروح .

ثانياً : فكرة التطور المطلق ، وخضوع الأخلاق للتطور ، بينما يقوم مفهوم الإسلام على ثوابت ومتغيرات .

ثالثاً : فكرة التقدم المادى وحده ، بينما يقرر الإسلام

مفهوماً جامعاً للتقدم مادياً ومعنوياً ، ويقدم الأخلاقى على الجمالى .

رابعاً : فكرة حرية الجنس والتحلل والترف ، بينما يقوم الإسلام على الأخلاق والعفة .

خامساً : فكرة المسئولية الجماعية . بينما يقوم الإسلام على أساس مفهوم الفردية .

ومعنى هذا أن الإسلام يختلف اختلافاً جذرياً عن منهج الغرب ، الذى يطمع التغريب والغزو الثقافى أن يفرضه علينا ، أو يحتوينا فى إطاره ، أو يصهر أمتنا فى داخله ولن ينصهر المسلمون .

* * *

إن أبرز أهداف التغريب والغزو الثقافى هو : زرع فكرة اليأس والقنوط فى النفس المسلمة ، والاستهانة بالقيم الإسلامية ، والقول بأن هزيمة المسلمين والعرب جاءت نتيجة لارتباطهم بالإسلام ، والحقيقة أن تهاون المسلمين فى

الاستمساك بالإسلام هو الذى أدى إلى هزيمتهم ، ذلك أن المنهج الإسلامى كان قادراً دائماً على حماية المسلمين من الهزيمة ، ودفعهم إلى استعادة مكانهم الحق .

* * *

ولقد كان واضحاً دعوة الإسلام أتباعه إلى مقاومة إذابة الشخصية الإسلامية ، والمحافظة على الطابع المتميز .

ولذلك فقد دعا الإسلام معتنقيه إلى معارضة التقليد الأجنبى ، وحرص على أن تظل شخصية المسلم وفكره متميزين ولذلك فقد أعلن حربا لا هوادة فيها على التقليد ، وعلى التبعية ، وحكم على من تشبه بقوم بأنه قد انفصل عن أهله ، وأصبح من أهل القوم الآخرين ، وكذلك دعا إلى إعلان التمييز بين الأمم من حيث العادات والأخلاق .

كذلك فإنه لم يكن المسلمون حلقة فى الحضارة اليونانية الرومانية ، التى تجددت فى الحضارة الحديثة ، كما يدعى بعض دعاة التغريب ، ذلك أن الإسلام جاء فاصلاً بين عهدين فى تاريخ البشرية ، فللإسلام حضارته الخاصة ، ومفهومه المستقل ، وطابعه المتميز المتحرر من منطق اليونان ، ووثنية الفرس وتعدد الهنود .

* * *

الفصـــل الثالث

التحرر من المسلمات الباطلة

طرح التغريب عدداً من المسلمات الباطلة فى أفق الفكر الإسلامى وعاش سنوات طويلة ، وإذا كانت الحرب النفسية من أساليب التغريب ، فإن المسلمات الوافدة من أخطر معطياته ، والواقع أن هذه الأفكار طرحت فى أول الأمر على أنها افتراضات أو نظريات وافدة من مجتمعات وآداب أمم أخرى ، وكان يجب أن تظل فى هذا الإطار ، ولكن سرعان ما حولها أتباع التغريب الذين كونهم فى البلاد الإسلامية إلى مسلمات خدعت الناس ببراعة لفظها ، ونشرها فى صحف شهيرة ومؤلفات لامعة ، وفى غفلة من دعاة الإسلام .

ونستطيع أن نحصر عدداً من أهمها فى هذا البحث :

أولاً : خطأ التجزئة بين العروبة والإسلام ، فالواقع أن العروبة والإسلام مترابطان ترابطاً جذرياً ، وقد فهم الغربيون هذا

يقول العلامة (مسيو روبيرجو) : إن العروبة تعنى الإسلام ، وإن الابتعاد عن الإسلام معناه انفصال البناء عن أساسه ، وقد ثبت تاريخياً أن قوة العرب تعنى قوة الإسلام ، ونفس الشيء يتكرر اليوم حيث يحرز (الإسلام) من انتصارات واسعة فى أفريقيا والواقع أن نظرية (عروبة بغير دين) كانت نظرية وافدة من الغرب ، ونحن نؤمن بأن قيمنا الفكرية المستمدة من الأديان هى عامل فعال فى بناء الأمم ، وأن الثقافة العربية هى نتاج الفكر الإسلامى ، ومهد العروبة الجامعة ، وهى تمثل وحدة الفكر والشعور ، وقد قرر هذا المعنى كثير من الباحثين ، وأشاروا إلى تشابك الإسلام والعروبة فى التاريخ تشابكاً عضوياً متفاعلاً ، ولا مجال لفصل أحدهما عن الآخر ، بل قرر المنصفون أن النهضة العربية الحديثة ليست إلا تياراً من النهضة الإسلامية ، وأن جميع حركات التحرر التى عرفتها الأقطار الإسلامية إنما كان مصدرها الإسلام ، ولا يزال الفكر الإسلامى هو التراث الحضارى للعرب : مسلمين ومسيحيين .

ثانياً : خطأ الخلط بين الثقافة والحضارة فى الاقتباس من

الغرب ، فالثقافة فكر والحضارة مادة ، ولا ريب أن الحضارة ملك للبشرية كلها ، ومن حقنا أن نأخذ منها ، وقد شاركت الأمم فيها من قبل ، وكان لها دور فى بنائها ، وكان للمسلمين والعرب فضل واضح فى بناء الطابق الأول لهذه الحضارة ، فقد قدموا لها أعظم عطاء حين قدموا لها (المنهج العلمى التجريبى) ، أما الثقافة فإنها تستمد جذورها من وجدان الأمم وروحها ، وقيمها الذاتية ، التى كونتها الأديان والمعتقدات منذ قرون ، فهى تمثل طابعها الأصيل ، وهنا أيضاً يختلف مفهوم الثقافة عن مفهوم المعرفة .

فالمعرفة إنسانية عامة كالحضارة ، وهى غير الثقافة التى تكون دائماً مرتبطة بالعقائد والقيم الأساسية للأمم .

ومن هنا يجىء خطأ القول الذى يذيعه دعاة التغريب والغزو الثقافى ، حين يقولون : بأن المدنية الغربية (حضارة وثقافة) هى كل لا يتجزأ لمن يقتبسها ، والواقع أن هذا تمويه تكشف خطأه سوابق تاريخية ، فقد أخذت اليابان والهند وغيرهما الحضارة دون الفكر والثقافة الغربيين ، وكذلك فعل

الأوروبيون من قبل إزاء الإسلام وثقافته وعلومه ، ومن المستحيل أن يقبل المسلمون فكر غيرهم ، أو ينضووا تحت لواء عقائدهم ، وهم يؤمنون بأن قيمهم الأساسية هى مصدر قوتهم وحياتهم ، وهى التى تشكل وجودهم ، وأن لقيمهم مقومات لها طابعها الخاص المفرد ، حيث يقوم على التوحيد والمزج بين الروح والمادة ، والعلم والدين ، والعقل والقلب .

والواقع أنه لا علاقة مطلقاً بين نقل العلوم وبين استيراد القيم .

ثالثاً : خطأ القصور فى العلوم الإنسانية مع التوسع فى العلوم المادية من أكبر الأخطاء التى تواجه العالم المعاصر والإنسان الحديث هذا العجز عن التوازن بين مطالب الفكر ومطالب المادة ، واتساع الإنتاج العقلى والعلمى مع قصور المعطيات النفسية والروحية ، وهذا ماعبر عنه كبار المصلحين بالعجز عن تطوير قلب الإنسانية كما تطور عقلها ، وكان من نتيجة ذلك ما يواجه البشر الآن من أخطار الحيرة والقلق والفراغ .

وقد عبر عن ذلك كثير من الفلاسفة الغربيين حيث يقول برجسون : إن جسم البشرية قد تضخم تضخماً خارقاً للعادة ، فأصبح فى حاجة إلى مزيد من العطاء الروحى .

رابعاً : خطأ الدعوة القائمة على الفصل بين الماضى والحاضر ، أو محاولة عزل الثقافة والأدب والفكر فى حاضرها عن جذورها .

ولقد قام الفكر الغربى المعاصر آساسا على التراث الرومانى واليونانى ، واستمد منه أبرز قيمه ودعائمه . وقد حدث هذا بينما انفصل الغرب عن التراث الإغريقى قرابة ألف عام ، بينما لم ينفصل العرب والمسلمون عن تراثهم ، ولا يزال حاضرهم استمراراً لماضيهم .

لقد انتهى الإغريق ، ومع ذلك فقد أحيا الغرب تراثهم مرة أخرى ، أما التراث الإسلامى فإنه ميراث أمة لم تنته ولم تذهب لغتهم إلى المتحف ، ومازال فكرها حيا متفاعلاً فى أمتها وفى البشرية كلها .

وقال فى ذلك(جب): ليس فى وسع العرب أن يتجردوا من ماضيهم ، وسيظل الإسلام أهم صفحة فى هذا السجل الحافل إلى درجة لا يمكن أن يغفل عنها الساعون إلى إنشاء مثل عربية عليا .

خامساً : خطأ دراسة العلوم المستحدثة دون تأصيل مصادرها التى قدمها المسلمون ، وهى صفحة مجهلة منكورة فى جميع المناهج الدراسية الجامعية فى الوقت الحاضر ، وإذا كان الغربيون قد عادوا أخيراً يعترفون بفضل العرب والمسلمين ودورهم فى بناء الحضارة المعاصرة ، أفلا يحق للمسلمين والعرب المحدثين أن يذكروا دور آبائهم وأجدادهم فى هذه العلوم التى يدرسونها ، وكأنها نبت غريب أو نتاج غربى خالص .

سادساً : خطأ القول بأن العالم الإسلامى قد بدأ نهضته بوصول الحملة الفرنسية والإرساليات التبشيرية ، أو حملات الاستعمار الغربى ، وذلك لأن هذا القول يتعارض تماماً مع حقائق التاريخ المعاصر ووقائعه ، ذلك أن العالم الإسلامى قد بدأ نهضته واستهل يقظته من خلال أعماقه قبل قدوم حملة

نابليون والإرساليات بنصف قرن تقريباً عندما صدرت صيحة تحرير العقيدة من الجزيرة العربية ومن الأزهر الشريف فى دعوة إلى العودة إلى المنابع الأولى .

سابعاً : خطأ القول بأن الإسلام دين عبادة ، والواقع أن الإسلام قد جمع بين العبادة والشريعة والأخلاق ، وقرر العلاقتين بين الله والإنسان ، وبين الإنسان والمجتمع ، فهو دين ونظام مجتمع وهو عبادة ومنهج حياة ، وهو بهذا يختلف عن مفاهيم الغرب فى الأديان التى تقصر مهمتها عن اللاهوت وليس لها نظام اجتماعى وتشريعى واقتصادى وتربوى مرتبط بعقيدتها .

ثامناً : خطأ القول بأن انحطاط المسلمين والعرب يرجع إلى اعتناقهم الإسلام ، والحق أن سر الانحطاط يرجع إلى انفصالهم عن الإسلام ، فإن الحقيقة الثابتة تاريخياً وعملياً أن الإسلام هو الذى أنشأ لهم حضارتهم ومجدهم ومكانتهم المعروفة ، وأنه حين أعطاهم هذا فإنه لن يكون بحال من الأحوال عامل هزيمتهم أو ضعفهم ، وإنما يرجع الضعف والتخلف إلى الانصراف عنه والتحلل من ضوابطه وقواعده ، فإذا قيل فى مناظرة مجتمعات أخرى إن الدين كان مصدر تخلفها ، فإن هذا لا ينطبق على الإسلام ، وهو مردود بتجربة التاريخ ، ربما كانت أديان أخرى قد حالت بشكلها البشرى

دون أن تعطى الأمم التى اعتنقتها تقدماً وقوة ، ولكن الإسلام بنصوصه الأصيلة ومعالمه الصادقة كان مصدر عطاء حقيقى ليس للمسلمين وحدهم بل للبشرية جمعاء . وقد جاء ذلك لأنه قدم منهجاً جامعاً متكاملاً لا يفصل بين المادة والروح ، ولا بين الدنيا والآخرة ، ولا بين الدين والعلم ، وإنما يجمع ذلك كله تحت راية واحدة هى « التوحيد الخالص » لله الخالق والإيمان بالجزاء والبعث والنشور فى الآخرة ، واليقين بالمسئولية الفردية والالتزام الأخلاقى فى الحياة

تاسعاً : خطأ النظر فى الفكر الوافد على أنه حقائق أصيلة تؤخذ كمسلمات دون نظر أو تمحيص ، ذلك لأن النظريات ما هى إلا فروض يقوم بها أفراد من البشر يخطئون ويصيبون ، وهى تجارب فى بيئاتها تستمد وجودها من تحديات ظروف عصرها ، ولذلك فإن أخطر مايكون هو أن ننقل هذه النظريات التى هى فروض من بيئة إلى بيئة تختلف عنها من حيث القيم والجذور والأديان ، ومن الممكن أن ينظر إليها ويؤخذ الصالح منها ، ولكن من الخطر أن تقبل أو تعتنق أو تدعى لنفسها قدرة على الإحتواء والسيطرة .

ولقد كانت الذاتية الإسلامية بكل مقدراتها وقيمها قادرة على أن تواجه الفكر الوافد ، ولا تدعه يسيطر عليها ، ولم يكن

الفكر الإسلامى الأصيل ذو الجذور العميقة والعريقة ليخضع لنظريات ومذاهب وافدة هى بمثابة تجارب ، قوامها الفكر المادى ، أو الفكر الوثنى الغريب عن روح الإسلام ، إن علينا أن ندرس تجارب الآخرين وعيوننا على بلادنا وظروفها ، وعلى فوارق الثقافات والبيئات ، والعلاقة بين النظريات وواقع الحياة .

عاشراً : خطأ نظرية التجزئة بين القيم المترابطة فى مجال الفكر الإسلامى ككل ، وذلك فى ظل تقدير أساسى لترابط أجزاء النفس الإنسانية ، والواقع أن الإسلام (وكذلك الفكر الإسلامى) فى أهم سماته لا يفصل بين الدينى والدنيوى والروحى والمادى ، والدنيا والآخرة ، وليس للقيم الروحية استقلال ذاتى فى الحياة ، وكل محاولة لفصل الروح عن المادة تعد عملاً عسيراً ، حيث لا انفصام بين الدين والحياة .

فالإسلام يأخذ الكائن الإنسانى كاملاً : روحه وجسده ، ويعتبر حياته الجسدية والنفسية كلا متسقاً متكاملاً ، ويؤمن بأن الفصل بين الأسباب الجسدية والنفسية فصل مصطنع ، وأن علاج أى مرض لابد فيه من الربط بين العاملين والاعتماد عليهما معا فى رسم خطة العلاج .

حادى عشر : خطأ القول بأن فى الإسلام طبقة تسمى (رجال الدين) لهم فى علاقتهم بالإسلام حقوق ليست

لغيرهم ، إذ الواقع أن فى الإسلام (علماء دين) هم المتخصصون فى الدراسات الإسلامية فى مجال الفقه والتشريع .

ثانى عشر : خطأ الاعتماد على مصادر الغرب واعتبارها مرجعا لدراسة تاريخنا ، ذلك أن كتابات الغرب تتسم فى الأغلب بالعجز عن وضوح الرؤيا والعجز عن الإنصاف أيضاً ، وتقوم فى الأغلب على تقدير أساسى لقيم الفكر الغربى التى تختلف عن مفاهيم المسلمين والعرب .

ولا ريب أن أخطر ما يواجهنا هو محاولة معرفة أنفسنا من خلال مرآة الآخرين .

ثالث عشر : خطأ التفرقة بين العلم والأخلاق : ذلك أن الأخلاق هى من أكبر عوامل الضبط فى مجال العلم حتى لا ينطلق إلى التدمير وإذلال الأمم والشعوب باسم الاستعمار ، والفكر الإسلامى يؤمن بالترابط بين العلم والأخلاق ، وقد عرف الغربيون فيه هذه الخصيصة حتى قال جوستاف لوبون : « إن الفكر الإسلامى علم الإنسانية كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين » ..

ويقول العلامة « جود » فى كتابه (سخافات المدنية الحديثة) : « إن هذه المدنية » أى الغربية « ليس فيها توازن

بين القوة والأخلاق ، فالأخلاق متأخرة جداً عن العلم ، ومنذ عصر النهضة ظل العلم فى الارتقاء والأخلاق فى انحطاط ، حتى بعدت المسافة بينهما ، وبينما يتراءى الجيل الجديد للناظر فتعجبه خوارقه الطبيعية وتسخيره المادة والقوى الطبيعية لمصالحه وأغراضه ، إذ هو يمتاز فى تأخر أخلاقه وفى شرهه وطمعه ، وفى طيشه ونزقه وفى قسوته وظلمه .

رابع عشر : خطأ القول بأن هناك ثقافة عالمية واحدة ، وأن هذه الدعوة إنما تستهدف سيادة الثقافة الغربية وحضارتها على ثقافات الأمم وحضارتها ، سيما أن ثقافة المسلمين والعرب ثقافة ذات أصالة وجذور وذاتية خاصة ، ومن المستحيل خضوعها بالقهر لثقافات الأمم ، وهى ثقافة الماضى ، التى عجزت محاولات الفلسفات اليونانية والفارسية والهندية عن استيعابها واحتوائها ، كما عجزت فى الحاضر كل مذاهب الفلسفات الحديثة .

خامس عشر : خطأ القول بتعصب المفكرين المسلمين والعرب ، ويشهد بإنصافهم البالغ ، وتحوطهم الشديد فى إصدار الأحكام كثيرون ، ومنهم : هاملتون جب ، الذى يؤكد أنهم كانوا واسعى الصدر تجاه العقائد الأخرى ، وأنهم حاولوا أن يفهموها ويدحضوها بالبرهان والحجة ، ثم إنهم

اعترفوا بما أتى قبل الإسلام من ديانات توحيدية ، وفى مقدمة هؤلاء أبو الريحان البيرونى ، وابن حزم .

وقال : لقد كان كتاب العرب والمسلمين يذكرون المخالفين لهم بكل حرمة ، وفى كتاب طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة ، وطبقات الحكماء لابن القفطى ، وفى تاريخ حكماء الإسلام للبيهقى ، أمثلة لهذا التسامح ، فقد ترجم المؤلفون المسلمون للنصارى واليهود والسامريين والمجوس كأنهم أبناء أمة « واحدة » .

سادس عشر : خطأ القول بأن المسلمين جاوزوا حرية الفكر بموقفهم من الحلاج ، والسهروردى . وابن رشد ، والحق أن هؤلاء المفكرين لم يؤخذوا بجريرة الرأى ، بل أخذوا بجرائر أخرى ، فقد ظل الحسين بن منصور الحلاج متمتعاً بحريته إلى اليوم الذى ثبت فيه أنه كان يراسل رئيس القرامطة ، وبينهما اتفاق سرى على قلب الدولة ، عند ذلك جرت محاكمته وقتله .

سابع عشر : خطأ التجاهل البشع لدور العرب والمسلمين فى الحضارة الإنسانية ، بينما كان المسلمون هم الذين قدموا للدنيا (المنهج العلمى التجريبى) وقد شهد لهم المنصفون وقالوا : إن مآثر المسلمين الخالدة لتقوم على أنهم مبتدعو

(التجربة) بالمعنى الدقيق للعلم ، والمنشئون الحقيقيون للاستقصاء العلمى ، وأن المنجزات التى حققها المسلمون والعرب على أساس المشاهدة والتجربة هى التى كانت الأساس العلمى كما قدمه من بعد : روجر بيكون ، وفرنسيس بيكون .

ثامن عشر : خطأ القول بأن القضاء والقدر الإسلامى هو مصدر تخلف المسلمين ، ذلك أن مفهوم القضاء والقدر فى الإسلام كان ولا يزال أعظم حافز للمسلمين لأن يسترخصوا أرواحهم فى سبيل الله .

تاسع عشر : خطأ القول بأن الفكر الإسلامى فكر تجريدى ، وأمامنا ثمرات الفقه والتشريع والعلوم كلها تكذب هذا الادعاء ، فإن الأصول ترينا واقعية الفكر الإسلامى وكيف أنه تناول كل حادث وقع بالبحث فى حينه ، ووضع له الحلول الملائمة ، بل إن الفكر الإسلامى هو أكثر ايغالا فى الواقعية من الفكر الغربى ، حيث تناول الفقه مفردات الحياة اليومية ، ولم يقتصر على مسائل العبادات كما فى بعض الأديان الأخرى .

عشــرون : خطأ الإعلاء بالدعوة إلى التولستوية (دعوة تولستوى) ، والغاندية (دعوة غاندى) ذات الطابع القائم على الاستسلام والضعف والسلبية وعدم المقاومة .

ولا ريب أن هذه الدعوة بعيدة عن طوابع الفكر الإسلامى القائم على جماع القوة والرحمة معا ، ودعاة هذا المذهب يحاولون أن يصوروا الإسلام كذلك ، بينما هم ينكرون جانباً من أخطر جوانبه وهو الجهاد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فالإسلام يقوم على التسامح والسلام فى نفس الوقت الذى يقوم فيه على الاعداد وتخويف العدو وحماية الثغور والمرابطة فيها ، فإذا اعتدى العدو وانتهكت الأرض فقد أذن الله للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ..

حادى وعشرون : خطأ القول بأن الشريعة الإسلامية شريعة أمة بدوية ، أو عصر من العصور ، أو مرحلة من مراحل التاريخ التى مضت ، أو أن لها علاقة بالفقه الرومانى ، وأمامنا ألف دليل من كتابات رجالها ، ولكنا نعرض لما قرره مؤتمر القانون الدولى المنعقد فى لاهاى « أغسطس ١٩٣٢م » حيث قال « إن الشريعة الإسلامية تصلح أن تكون مصدراً عالمياً للقانون » وقد اتسمت الشريعة الإسلامية على حد تعبير الدكتور مختار القاضى بسمة مميزة ، تلك هى : جمعها بين عنصرى الثبات والتطور معا ، وأنها توفق بينهما توفيقاً بديعاً فنيا ، فبينما تجد فى هذه الشريعة نصوصا تنزل إلى التفصيلات ، وتنأى عن التأويل والتغيير والتبديل ، كنصوص : الميراث والحدود والكفارات ، نرى نصوصاً أخرى

تبيح للمشرع أن يبتدع أحكاما فى غير الحالات التى جاءت بها النصوص التفصيلية ، مادام الأمر يحقق مسألة عامة للمسلمين ، وأظهر مثل لهذه النصوص المرخصة هى : المصالح المرسلة ، والاستحسان بالضرورة ، وقياس مالم يرد فيه نص على ماورد فيه نص ، ولعل الشريعة الإسلامية هى الشريعة الوحيدة فى الدنيا التى تطورت بوسائل داخلية دون أن تستعير نصاً من خارج نصوصها ، أو حكماً غير مستنبط من أحكامها ، بينما كل القوانين والشرائع تطورت بوسائل خارجية ماعدا الشريعة الإسلامية .

اثنان وعشرون : خطأ المحاولة الخطيرة التى يحاولها التغريب والاستشراق ، وهى : استخدام نصوص الشريعة الإسلامية بالتأويل لتبرير أنماط الغرب الفكرية والاجتماعية .

هذا وبالله التوفيق ،

« **انتهى** »

أنور الجنـــدى

آفـــاق البحـــــث

« المـؤلف »

أنور الجندى : باحث إسلامى ، وعضو مؤتمر الإعلام الإسلامى العالمى ، وجمعية الأدب الإسلامى فى لكنو بالهند .

* عمل بالصحافة الإسلامية منذ أربعين عاماً ، وقد اشترك فى تحرير عدد من الصحف الإسلامية فى مختلف أنحاء البلاد العربية .
* اشتغل بالدراسات الإسلامية ، وخاصة فى مجال التغريب والغزو الثقافى ، ونقد أبحاث التبشير والاستشراق .
* يصدر موسوعة (مقدمات العلوم والمناهج) فى عشرة مجلدات ، « صدر منها المجلد السابع » وله مؤلفات عديدة فى التراجم والأدب العربى والإسلاميات .
* اشترك فى عديد من المؤتمرات الإسلامية فى جاكرتا ، قطر ، الإمارات ، السودان ، الجزائر ، المغرب .

وحاضر فى جامعة العين بالإمارات ، ورابطة العالم الإسلامى ، وجامعة الإمام محمد بن سعود ، وشارك فى مؤتمر تصحيح دوائر المعارف (المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة) .

* عضو فى نقابة الصحفيين واتحاد الكتاب والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

قضايا إسلامية معاصرة

تصدرها
الأمانة العامة
للجنة العليا للدعوة الإسلامية
بالأزهر الشريف

المشرف العام
د. عبد الودود إبراهيم شلبي

البحث القادم

محنة الأقليات المسلمة في العالم

للأستاذ
محمد عبد الله السمان

رقم الايداع

٨٧/٤٠٧٢

الترقيم الدولى

٩٧٧ ـ ١٢ ـ ٠٠٤٤٠٥

طبع بمطابع روز اليوسف